فتاوى المنار

فتحنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذلا يسع الناس عامة ، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء ، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالبا وربما قدمنا متأخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا . ولمن مضى على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لاغفاله

﴿ الهجرة وحكم مسلمي البوسنه فيها ﴾

(س ٢٥) من صاحب الامضاء في البوسنه (*)

بعد السلام عليكم يافضيلة الأستاذ الأكبر، والعلامة الفهامة الهمام الاوحد، حجة الاسلام، وامام أهل الحق وفخر الأنام، العالم العامل الفاضل الكامل المحقق، والبحر النحرير الفيلسوف الحكيم المدقق، الاديب اللبيب، فريد العصر، ووحيد الدهر، سيدنا ومولانا ومرشدنا ، الشيخ محمد رشيد رضا ، عمره الله وحياه بأحسن الحياة ،

أقول : بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله ذي العظمة والكبرياء ، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا وقرة أعيننا رسوله الداعي الى سبيل الهدى سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين المهتدين بهداه والذين اتبعوهم باحسان الى يوم الحشر والجزاء ،

أما بعد فقد أخبرني بعض المصاحبين بان واحدا من علماء الاستانة قد اتفق ان ألقى وعظا في جامع بمدينة عندنا ، فمن جملته ان قال فيه بوجوب الهجرة علينا وعدم صحة النكاح ونحوه بعد ما ألحقت النمسا وضمت (ولاية البوسنه والهرسك)

(*) ان السائل من المغالين في حب المنار وصاحبه فهو يطرينا بالألقاب والنعوت التي نخجل من ذكرها وإنما ننشرها عملا بما جرينا عليه اخيرا من نشر الاسئلة بنصوصها كما جرى عليه علماؤنا من قبل الا من اذن لنا بتصحيح بعض اغلاطه اللفظية

إلى أملاكها وملكها . وشدد أيضاً فقال بعدم صحة أركان الاسلام تحت حكومتها مطلق الصلوة فالجمعة داخلة في ذلك ونحو الصيام والحج والزكوة ، فاضطرب منه أكثر من سمع ما قال اضطرابا شديداً ، ظنا منهم بان حقيقة الامر كما قال :

فياسيدي ومولاي وقرة عيني ويا ناصر الحق والسنة ، ويا قامع البدع الدينية الذليلة الشنيعة ، وياكاشف الغمة عن هذه الامة المرحومة ، ويا مقتدى الامة ، وقدوة الائمة ، ويا رحمة الله لهذه الملة الحنيفية ، أرجو من حضرتكم ، ان تتفضلوا بالجواب الواضح الشافي عن قول ذلك العالم ، على نحو ما اهتديتم بالكتاب والسنة السنية ، مع البراهين والادلة الشرعية المرضية القوية ، كما هو دأب جنابكم على صفحات المنار المنير ، أدام الله ضياءه الى يوم الحشر والقرار ، و بارك في عمر سعادة صاحبه وعامله نحو ما عامل المقربين من عباده المتقين ، وجزاه نحو ما يجزي المحسنين من عباده المخلصين ، انه على مايشاء قدير ، و بالاجابة جدير ،   الداعي والمستدعي

قارئ المنار المنير وصديقكم المطيع الخالص وصديق أصدقاء المنار المنير وصاحبه ومحبهم وعدو عدوهم ومبغضهم العبد الضعيف النحيف الحقير الفقير الى رحمة ربه العلي القدير تراب اقدام انصار الحق محمد ز . ه . د . تارابار من طلبة المدرسة الفيضية بمدينة تراونيك (بوسنه)

(ج) لاشك ان ذلك التركي قد اخطأ في جملة ما قاله والصواب انه لاتجب الهجرة وجوبا عينيا على من كان متمكنا من إقامة دينه آمنا من الفتنة فيه وهي الإكراه على تركه او المنع من إقامة شعائره والعمل به وهو نحو مما قالته عائشة ففي البخاري انها سئلت عن الهجرة فقالت « لا هجرة اليوم كان المؤمن يفر بدينه الى الله ورسوله مخافة ان يفتن فاما اليوم فقد أظهر الله الاسلام والمؤمن يعبد ربه حيث شاء » والأصل في المسألة آية « ٤ : ٩٧ ان الذين توفاهم الملائكة » وستأتي ، وفيها أحاديث وآراء للعلماء نذكر اهمها : فاصح ما ورد فيها حديث ابن عباس عند احمد والشيخين وأصحاب السنن الثلاثة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال « لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية واذا استنفرتم فانفروا » وروي مثله عن عائشة في الصحيحين وروى احمد والنسائي وابن ماجه والطبراني وغيرهم عن عبد الله بن السعدي ان النبي

صلى الله عليه وسلم قال « لا تنقطع الهجرة ماقوتل العـدو » وهو يوافق حديث ابن عباس في وجوب النفر على من استنفر للجهاد الشرعي وترك وطنه لاجل ذلك وهذا لا وجود له الآن

وأما حديث جرير بن عبدالله عند ابي داود والترمذي « انا بريء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين » وتعليله ذلك بقوله « لا تتراءى ناراهما » فقد صحح البخاري وابو حاتم ومخرجاه وغيرهم إرساله الى قيس ابن أبي حازم وفي الاحتجاج بالمراسيل الخلاف المعروف في الأصول ورواه الطبراني موصولا . وهو لا ينطبق على أهل بوسنه لانهم ليسوا بين أظهر المشركين . وقد كان للاسلام سياسة خاصة في مشركي العرب. وفي الباب حديث عن معاوية رواه أحمد وأبو داود والنسائي وقد اشرنا اليه في الجزء الماضي وهو انه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « لا تنقطع الهجرة ينقطع التوبة ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها» وهذا الحديث قال الخطابي « اسناده فيه مقال »

أما أقوال العلماء في احكام هذه الأحاديث فنذكر منها ما أورده الشوكاني في شرح المنتقى في الجمع بينها قال: وقد اختلف في الجمع بين أحاديث الباب فقال الخطابي وغيره كانت الهجرة فرضا في أول الاسلام على من أسلم لقلة المسلمين بالمدينة وحاجتهم الى الاجتماع فلما فتح الله مكة دخل الناس في دين الله أفواجا فسقط فرض الهجرة الى المدينة وبقي فرض الجهاد والنية على من قام به أو نزل به عدو ، انتهى قال الحافظ (ابن حجر) وكانت الحكمة أيضا في وجوب الهجرة على من أسلم ليسلم من اذى من يؤذيه من الكفار فانهم كانوا يعذبون من أسلم منهم الى ان يرجع عن دينه وفيهم نزلت « ان الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الارض ، قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها » الآية . وهذه الآية باقية الحكم في حق من أسلم في دار الكفر وقدر على الخروج منها . وقال الماوردي إذا قدر على إظهار الدين في بلد من بلاد الكفر فقد صارت البلد به دار إسلام فالاقامة فيها أفضل من الرحلة عنها لما يترجى من دخول غيره في الاسلام. ولا يخفى ما في هذا الرأي من المصادمة لأحاديث الباب القاضية بتحريم الاقامة في

دار الكفر . وقال الخطابي أيضا ان الهجرة افترضت لما هاجر النبي صلى الله عليه وآله وسلم الى المدينة الى حضرته للقتال معه وتعلم شرائع الدين وقد أكد الله ذلك في عدة آيات حتى قطع الموالاة بين من هاجر ومن لم يهاجر فقال (٨ : ٧٣ والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا) فلما فتحت مكة ودخل الناس في الاسلام من جميع القبائل انقطعت الهجرة الواجبة وبقي الاستحباب . وقال البغوي في شرح السنة يحتمل الجمع بطريق أخرى فقوله «لاهجرة بعد الفتح» أي من مكة الى المدينة ، وقوله « لا تنقطع » أي من دار الكفر في حق من أسلم الى دار الاسلام ، قال ويحتمل وجها آخر وهو ان قوله « لا هجرة » أي الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم حيث كان بنية عدم الرجوع الى الوطن المهاجر منه الا باذن ، فقوله « لا تنقطع » أي هجرة من هاجر على غير هذا الوصف من الاعراب ونحوهم . وقد أفصح ابن عمر بالمراد فيما أخرجه الاسماعيلي بلفظ انقطعت الهجرة بعد الفتح الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولا تنقطع الهجرة ما قوتل الكفار أي ما دام في الدنيا دار كفر فالهجرة واجبة منها على من أسلم وخشي ان يفتن على دينه . ومفهومه انه لو قدر ان لا يبقى في الدنيا دار كفر أن الهجرة تنقطع لانقطاع موجبها . وأطلق ابن التين ان الهجرة من مكة الى المدينة كانت واجبة وان من أقام بمكة بعد هجرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم الى المدينة بغير عذر كان كافرا . قال الحافظ وهو إطلاق مردود . وقال ابن العربي الهجرة هي الخروج من دار الحرب الى دار الاسلام وكانت فرضا في عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم واستمرت بعده لمن خاف على نفسه والتي انقطعت أصلا هي القصد الى حيث كان . وقد حكي في البحر ان الهجرة عن دار الكفر واجبة اجماعا حيث حمل على معصية فعل أو ترك أو طلبها الامام بقوته لسلطانه وقد ذهب جعفر بن مبشر و بعض الهادية الى وجوب الهجرة عن دار الفسق قياسا على دار الكفر وهو قياس مع الفارق والحق عدم وجوبها من دار الفسق لانها دار اسلام و إلحاق دار الاسلام بدار الكفر بمجرد وقوع المعاصي فيها على وجه الظهور ليس بمناسب لعلم الرواية ولا لعلم الدراية وللفقهاء في تفاصيل الدور والاعذار المسوغة لترك الهجرة مباحث ليس هذا محل بسطها . اه

ما أورده الشوكاني وهو زبدة ماقيل في شرح الاحاديث من علمائه

أقول انك تجدهم قد اختلفوا في كل وجه من وجوه المسألة الا اثنين احدهما عدم التمكن من اقامة الدين بالفتنة وهي حمل المسلم على الكفر أو مخالفة دينه في فعل أو ترك أو بالجهل ، وثانيهما الجهاد الديني أي المتعلق بحماية دعوة الاسلام وأمن أهله على دينهم وحقيقتهم ففي هاتين الحالتين تجب الهجرة بلاخلاف . أي على من عجز عن إقامة دينه سواء كان واحداً أو جما وعلى من احتيج الى جهاده وكان نفره مما يعزز المسلمين ويفيدهم في الدفاع المطلوب شرعا . فأما هذا الوجه فمن البين الظاهر انه لايتحقق في أهل بوسنة الآن كما تقدم وما أظن ان الوجه الأول متحقق فيهم أيضا وهم اعلم بأنفسهم

ويدخل في باب الوجه الأول الهجرة الى طلب العلم الواجب عند الحاجة الى ذلك فان لم يهاجر من يتعلم ويعود ليعلم أثم جميع المسلمين الذين فقدوا هذا العلم في وطنهم . وكذلك الهجرة من المكان الذي فشا فيه الفسق والمجاهرة بالمنكرات وصارت التربية على التقوى والصلاح متعذرة فيه . وقد روى ابن وهب عن مالك أنه قال: تهجر الأرض التي يصنع فيها المنكر جهارا ولا يستقر فيها . واحتج بصنيع ابي الدرداء في خروجه من أرض معاوية حين أعلن بالربا فأجاز بيع سقاية الذهب بأكثر من وزنها ، رواه أهل الصحيح . وقال مالك في موضع آخر اذا ظهر الباطل على الحق كان الفساد في الارض . وقال لاتنبغي الاقامة في ارض يكون العمل فيها بغير الحق . اه

أقول وإنما يكون هذا من الافراد الذين يتعذر عليهم ازالة المنكر فان وجدمن يقدر على إزالة المنكر وجب ذلك عليه دون الهجرة

ومن قال انه لا يظهر له دخول هذا في الوجه الأول قلنا لك ان تعده وجها آخر وهو ظاهر . ولا حاجة الى قياس الفسق على الكفر ليصح ما ذكر من الهجرة من حيث يفشو الفسق ويتعذر الصلاح أو يتعسر الى حيث الصلاح والخير

وجملة القول ان المسلم يجب عليه ان يقوم بالحق والخير كما يرشده دينه فان عجز عن ذلك في بلاد وجب ان يهاجر منها الى حيث يقدر عليه والا كان ظالما لنفسه وقيل له يوم الحساب اذا اعتذر باستضعاف الكفار اوالفساق له ومنعه من العمل بدينه ألم تكن ارض الله واسعة فتهاجر فيها ؟

اما مازعمه ذلك الواعظ التركي من عـدم صحة النكاح وأركان الاسـلام في بوسنه بعد إلحاقها بالنمسا فهو باطل ، لا يصدر مثله الا من جاهل؛ ولولا إباحة ماحرم الله على المسلمين من التقليد لما كان لهذا الجاهل من سبيل لتشكيك أولئك المسلمين الذين سمعوا وعظه في عبادتهم وعقود زوجيتهم اذ الوعظ ببيان كتاب الله وسـنة رسوله لا يأتي فيه شيء من هذه المزاعم والأباطيل. فتي تستنير بصائر جماهير المسلمين ويعتصمون بحبل الله حتى اذا حاول ان يعبث بدينهم عابث طالبوه بمـا عنده من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فاذا جاءهم بهديها قبلوه ، والاردوا ما جاء به ورفضوه ؟؟؟

لافرق في العبادة والنكاح بين المسلم في دار الكفر والمسلم في دار الاسلام وإنما هنالك احكام تتعلق بالمعاملات السياسية والمدنية والحربية وأدخل بعضهم في السياسية صلاة الجمعة . ومن البديهي ان الهجرة لم تكن حتما لازما في زمن كزمن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لنصره والاخذ عنه ولما كان من اشتداد المشركين في ايذاء المسلمين قبل فتح مكة ومع ذلك لم يرد في السنة من التشديد على من لم يهاجر شيء مما زعم هذا الواعظ الجاهل فقد روى أحمـد ومسلم وأصحاب السنن وغيرهم من حديث بريدة انه قال قال رسول الله (ص) « اذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم الى ثلاث خصال — أو خلال — فايتهن ما أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم . ادعهم الى الاسلام فان أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ، ثم ادعهم الى التحول من دارهم الى دار المهاجرين وأخبرهم انهم ان فعلوا فلهم ماللمهاجرين وعليهم ماعلى المهاجرين فان أبوا ان يتحولوا منها فأخبرهم انهم يكونون كأعراب المسلمين يجري عليهم حكم الله الذي يجري على المؤمنين ولا يكون لهم في الغنيمة والفيء شيء الا ان يجاهدوا مع المسلمين ، فان هم أبوا فسلهم الجزية فان هم أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم » الخ

واما ماقالوه في دار الكفر ودار الاسلام فلا حاجة الى بسطه هنا وقد سبق لنا بحث فيه من قبل فليراجعه من شاء

* * *

﴿ خطبة جمعة في سوء حال المسلمين في هذا الزمان ﴾

(س ٢٦) من م٠ ١٠ ص في سنغافوره

سنغافورا في ٧ جماد الاول ٣٢٧

حضرة العلامة الفاضل السيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار المنيرة بمصر

قد اتى على المسلمين بهذه الاصقاع حين من الدهر وهم لا يسمعون الخطبة في مساجدهم غير خطب ابن نباتة او نحوها فتعودوا سماع فضائل الشهور و بيان قرب الساعة والحث على ترك الدنيا الى غير ذلك ولما كان الزمان في تقلب دائم حصلت الفرصة في الجمعة الماضية للغيور الاديب الشاب المحبوب عباس بن محمد طه فأنشأ خطبة تناسب الأحوال الحاضرة بهذه الجهات تمام المناسبة ثم رقي المنبر بالجامع الكبير المسمى (مسجد سلطان) فخطب خطبة تؤثر في نفوس الغيورين وان خطيب المسجد لم يخطب في ذلك اليوم نظراً لما كان عليه من العذر ثم طفق الجامدون بعد فراغ الصلاة يشيعون ان الخطبة لا تليق ان تكون خطبة للجمعة لان فيها تكفير المسلمين وذمهم ومدح الكفار مع ان خطبة الجمعة دينية محضة وما في هذه الخطبة من أمور الدنيا وتقبيح احوال المسلمين ورفع شأن الكافرين مخل لنظر الدين ولذلك قال هؤلاء انهم لا يريدون ان يصلوا الجمعة في هذا الجامع اذا اعيدت تلك الخطبة حتى بالغ بعض الناس في سب ذلك الخطيب وسمعت ذلك انا والشيخ عبد القادر وغيره فعلمنا أن كره المتغفلين هذه الخطبة قد بلغ الغاية وانا قد اطلعنا على الخطبة عند بعض معارفنا فنقلت منها عدة نسخ نسخة منها لتقديمها الى مجلتكم المنيرة وهذه هي الخطبة :

* * *

« الحمد لله الذي جعل الجمعة من اسباب الاجتماع · تقرأ فيه المواعظ لتمزق غشاء الأسماع · فتتأثر منها القلوب والطباع · وتفتح بذلك ابواب الخير والانتفاع · احمده سبحانه وتعالى على جزيل الفضل والاحسان · واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له المنان · واشهد ان سيدنا محمداً عبده ورسوله المبعوث بالبيان · اللهم صلى وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه في كل وقت وأوان · أما بعد فيا عباد الله: ان

ما حل بنا من ضعف وهوان . وفساد في الاعمال وخسران . من سوء تربية في الصغر تولد منه في الكبر فساد وطغيان . وتهاون بالصلاة وتجاهر بالعصيان وموت شعور عند سماع أوامر ونواهي القرآن . وكثرت الخرافات والاوهام. ادخلها الجاهلون وصبغوها بصبغة دين الاسلام . ومعظم أهل زماننا هذا هم للكفر يومئذ اقرب منهم للايمان . والمصيبة في الاعمال والاديان . اعظم منها في الاموال والابدان . ونحن نعلم كل ذلك علم اليقين . وأهملنا شعائر الدين . فوقعنا في شدائد متراكة . ونظرت الينا الاجانب نظر تحقير وملامه . وان التباعد عن الاهتداء بهدي الشرع الكريم . وعدم التمسك بعروة الدين القويم . قدأدى بنا ذلك الى الاهمال . والانحطاط وشر المآل وديننا يأمر بالتعاون والاتفاق . ونحن نسعى الى التنافر والافتراق . حتى ذهبت اعمالنا ادراج الرياح . وضاعت اوقاتنا بين الجد والمزاح . ولا نقدر على القيام بمهام الاعمال ولا على مثابرة الاشغال . فآلت امورنا الى اسوء الحال . وخابت الآمال . وانا لو اتحدت كلماتنا . وصرنا حزبا متعاونا . ساعيا في مصالح امورنا . في ديننا ودنيانا . لكان اكبر الاعمال هينا . ونجح نجاحا مبينا ، واذا نظرنا الى حال الامة الغربية ، ذات السعادة والرفاهية ، وجدنا انها تدرجت على أصول الاسلام ، و بذلت الجهد في التعاون والاتحاد والالتئام ، كان اكبر المشروعات عندها من اسهل الممكنات ، وان كان عندنا يعد الناس نجاحه من المستحيلات ، وهم يعقدون الشركات ، وينشئون الجميات ، ليعود ذلك على ابناء ملتهم بالنفع والفضائل ، ونحن ننشيء الجمعيات للتلوث بادران الخمول والرذائل ، و يعود ذلك علينا بضعف الديانة ، وتضييع الصيانة ، كانت المواعظ عندهم داعية الى التقدم السريع ، وعندنا قد صارت سلما الى تأخرنا الشنيع ، فياذوي الابصار ، اين التبصر والاعتبار ، وما هذه الغفلة والاغترار ، فليت شعري ما اعتذاركم بعد الانذار ، اما علمتم ان الله لم يخلق الدنيا عبثا ، بل جعلها دار سعي واختبار ، يعقبها بدار جزاء وقرار ، وجعل لنا العقول لنميز بها بين النفع والاضرار ، وامرنا بفعل الخيرات ونهانا عن الاوزار ، ومن اطاعه ادخله الجنة ومن عصاه ادخله النار ، وليس لنا عليه بعد ذلك حجة ولا اعذار ، عباد الله تعاونوا واتفقوا ، واعتصموا بحبل

الله جميعا ولا تفرقوا ، (الحديث) قال (ص) اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا واعمل لأخراك كأنك تموت غدا » الى آخر الخطبة ،

وما دعاني الى افادتكم بهذه الواقعة الا لنصرة الحق وحضرتكم أهل لذلك

(المنار) وجاءنا سؤال آخر عن خطبة هنالك الظاهر انها هذه بعينها وهذا نصه

سنغافورا ١٣ جماد الاول (؟) سنة ١٣٢٧

(س ٢٧) من س . ح س .

حضرة العلامة الفاضل السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار بمصر

لا يخفى ان من طبيعة الانسان حب الفخر والشهرة ويوجه كل قوته الى الوصول اليه بأي وجه كان ولا يجول بخاطره انه امام الملأ من الا كابر كالذبابة لولا ذلك لما تجرأ بعض الناس على تلاعب بعض أمور العبادة فقلب الخطبة على غير وجهتها التي شرعت لاجلها فخطب على منبر أ كبر الجوامع هنا خطبة تقشعر من سماعها الابدان يكفر فيها المسلمين ويتبجح اعمالهم ويستحسن اعمال الكافرين وذلك بمسمع من العباد والعلماء ظنا منه ان ذلك مما يوجب فخره ولا يدري ان الامر بالعكس وقد افتى العلماء بمنع ان تخطب خطبة الجمعة مثل تلك الخطبة ولذلك جئتكم بهذه الرقعة سائلا عن رأيكم الصائب في ذلك

(ج) ان المصريين ليعجبون من استنكار بعض مسلمي سنغافوره لهذه الخطبة التي يسمعون كل جمعة في مساجدهم ماهو أشد منها انكارالحال المسلمين وتركهم لهداية دينهم و إضاعتهم لمصالح دنياهم وتقدم سائر الامم عليهم» ومن ذلك عبارة يكررها في الخطبة الثانية الشيخ خالد النقشبندي خطيب مسجد الست الشامية المشهور بالصلاح وحسن الخطبة وهي « اتقوا الله فقد تقدم الاجانب وتأخرنا، اتقوا الله فقد نشطوا وكسلنا» الخ وهو نحو ماقاله خطيب سنغافوره فلماذا استنكر هناك ولم يستنكر هنا؟ لا سبب لذلك الا أن العلماء والعوام هنا اعلم ممن هناك بالاسلام والمسلمين وما يحتاجون اليه وهذه هي الخطب التي يسمونها هنا الخطب العصرية ويرجون فائدتها ونفعها

على بعض : أيّ شيء أحدثنا اي شيء أضعنا ؟ فاذا كان رب العزة يعظ افضل المؤمنين من السابقين الاولين بمثل هذه الاية فهل يستنكر في مسلمي زماننا مثل تلك الخطبة ؟ ما هذا الغرور الذي اصابنا ! نسي ونطلب الشكر على إساءتنا ! وليراجع السائلون تفسير (٢ : ٢١٤ ام حسبتم ان تدخلوا الجنة) في الجزء الثاني من تفسير القرآن الحكيم (ص ٣٠٢ — ٣١١) ولينظروا ماهي النسبة بين اولئك المخاطبين بالآية عند نزولها و بين اهل عصرنا هذا وهم مخاطبون بها أيضا . ومثلها كثير ننبه دائما في التفسير عليه ونحث مسلمي زماننا على وزن انفسهم بميزان القرآن ثم سيرة نبينا صلى الله عليه وآله وسلم وسيرة اصحابه عليهم الرضوان . ولوشئنا ان نعزز ذلك بالاحاديث والآثار لفعلنا ولكن المنصف يكتفي بما ذكرناه ، والمغرور أو صاحب الهوى لا يقنعه شيء يخالف هواه ، أما اذا كان السائل الثاني يعني بما ذكره خطبة غير التي أرسلها السائل الأول منهما وفيها تكفير للمسلمين صريح وتحسين لأعمال الكفار التي هي من كفرهم فلا مندوحة لنا عن إنكار ذلك بشدة . اما الاعمال التي ليست من كفرهم فمنها الحسن والقبيح قال تعالى في اليهود (٥ : ٦٦ منهم امة مقتصدة وكثير منهم ساء ما يعملون)

* * *

﴿ أم كلثوم بنت النبي (ص) ﴾

(س ٢٨) من خليل رشدي افندي ملحس التلميذ بمكتب نابلس الاعدادي

الحمد لله وحده

حضرة الفيلسوف العظيم والأستاذ الحكيم الامام العلامه بحر فهامه سيدي المرشد السيد محمد رشيد رضا منشئ مجلة (المنار) الاسلامي نور الله قلبه وأدام مجده على مدى الدوران آمين

بعد اهداء ما يليق بحضرتكم من التحيات الزاكية أعرض لجنابكم بأن تتكرموا على هذا العاجز بنشر سؤالي الآتي على صفحات مجلتكم « المنار » الأغر وسرد جوابه بما يتراءى لكم ولحضرة فضيلتكم الشكر والمنة سلفا :

لايخفى على جنابكم أحوال تلامذة المدارس من جهة المباحثة مع بعضهم البعض ، فيوم من الايام اجتمعت أنا و بعض رفقائي للمباحثة وصرنا نتباحث الى ان وصل بحثنا عن السؤال الآتي :

(١) ما هو أصل اسم بنت النبي (ص) الملقبة به (أم كلثوم)

(٢) لأي سبب لقبت به (أم كلثوم)

وطال بنا الجدال في هذا الموضوع وانقسمت أفكارنا الى آراء كثيرة وحيث انه لم نوفق لمعرفة السؤالين المرقومين أعلاه قر بنا القرار بالتفسير من فضيلتكم واخذ رأيكم في هذا الموضوع فكلفوا هذا العاجز بالسؤال من جنابكم

ولأجل ذلك حررت لفضيلتكم هذا التحرير راجيا إرشادنا في هذا البحث والله الملهم الى الحق والصواب ولكم الأجر والثواب والسلام على من اتبع الهدى ودين الحق ودمتم

(ج) لا أدري كيف وجدتم ذلك المجال الواسع للخلاف وانقسام الأفكار في هذه المسألة وهي لا تحتمل عندنا خلافا فالعرب كانت تسمي أيمن وأم أيمن وسلمة وأم سلمة والمعروف أن بنت النبي صلى الله عليه وسلم سميت ام كلثوم ابتداء ولم يكن كنية كنيت بها بعد ان سميت باسم آخر وفي الصحابيات كثيرات سمين بهذا الاسم . وكلثوم من الكلثمة وهي استدارة الوجه

* * *

﴿ عهد (موضوع) زعموا انه من النبي (ص) للنصارى ﴾

(س ٢٩) من احد العلماء في حمص

ان مجلة (روضة المعارف) التي تصدر في بيروت أدرجت في عددها الثالث عشر من هذه السنة صورة عهد للنبي صلى الله عليه وسلم تزعم أنه أملاه على سيدنا معاوية رضي الله عنه لأهل الذمة ولدى البحث في كتب الحديث والسير والتاريخ ما وجدت هذا العهد بهذا اللفظ الطويل الذي نقلته هذه المجلة ونقلته عنها جريدة لسان الحال فأرجوك ايها الفاضل ان تفيدني عن درجة هذا العهد من الصحة والحسن

وعمن خرجه منه المحدثين وفي أي كتاب هو وهل هذا اللفظ المنقول كله مرويّ محفوظ عن ائمة هذا الشان الموثوق بهم الذين يعول على نقلهم فيكون حجة في العمل لقد رأيت في هذا العهد طولا كبيراً وألفاظاً لا تشبه ألفاظ صاحب الرسالة في عهوده ورأيت بعض الصحابة المدرجة اسماؤهم بصفة شهود كان قدمات قبل هذا التاريخ وبعضهم لم يكن اسلم فأرجو إيضاح الجواب على كل جملة ليكون الانسان على بصيرة لا زلت مرجعا لحل الاشكالات وتحقيق المسائل وليكن الجواب على صفحات مجلتكم ليطلع عليه القراء الكرام

(ج) قد اطلعنا في مجلة روضة المعارف على هذا العهد الملفق الموضوع فساءنا اندفاع قومنا في تيار المجاملة الى هذا الحد الذي يتهجم فيه على نشر هذه الأكاذيب الموضوعة على النبي (ص) على حين نحن في غنى عنها بما عندنا من الآيات الكريمة والاحاديث الصحيحة وسيرة السلف المعروفة

ان هذا العهد المكذوب لم يروه أحد من المحدثين ولا يحتاج من له ادنى شمة من علوم الدين الى اطلاع واسع ليعرف انه مصنوع موضوع فذلك واضح من عبارته في أغلاطها واسلوبه في ركاكته ومافيه من الاصطلاحات الحادثة ومن المبالغة والتكرار ومن مسائله التي توهم ان الاسلام وجد في الارض لأجل تعزيز النصرانية وخدمة أهلها والدفاع عنهم والخضوع والذل لهم وإعانتهم على المعاصي والجنايات اذا ارتكبوها فان مما جاء فيه « وان جراحد من النصارى جريرة اوجنى جناية فعلى المسلمين نصره ومنعه (أي حمايته) والذبّ عنه والغرم عن جريرته » فهل يعقل من شم رائحة الاسلام ان النبي الذي يقول كما في صحيح البخاري « لو ان فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها » يأخذ العهد على أمته بأن ينصروا مرتكبي الجرائم والجنايات من النصارى ويحموهم ويدفعوا عنهم ؟ وهل يتفق هذا مع قوله تعالى في الآية التي أذن فيها للمسلمين بالجهاد والدفاع عن أنفسهم « ٢٢ : ٤١ الذين ان مكناهم في الارض أقاموا الصلاة وآتو الزكاة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر »

وفي هذا العهد كثير من امثال هذه المسائل الباطلة بالاجماع التي لا يبيحها الاسلام لأحد بل يعد استباحتها كفرا وردة عن الاسلام

اما ما يدل على كذب هذا العهد مما يتوقف العلم به على الإلمام بالتاريخ فربما يعذر ناشروه بجهلهم له ولكنهم لا يعذرون بجهل المسائل المعلومة من الدين بالضرورة

ثم ان هنا مسألة تاريخية تكاد تكون معروفة عند العامة وقد جهلها ناشر و هذا العهد وهي مسألة التأريخ بالهجرة ففيه « كتبه معاوية بن ابي سفيان بإملاء رسول الله يوم الاثنين في ختام أربعة أشهر من السنة الرابعة من الهجرة بالمدينة » فمن المشهور أن هذا التأريخ قد حدث في خلافة عمر بن الخطاب بمشاورة الصحابة (رض) ولم يفعله النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولا أبو بكر (رض) وما ذكر مختلق العهد هذا التاريخ الا ليظهر كذبه علم التاريخ فالمروي في صحيح البخاري ان معاوية اسلم في عام الفتح أي في السنة التاسعة للهجرة فكيف كان يكتب للنبي في السنة الرابعة، ثم ان ختام الشهر الرابع للهجرة وهو شهر جمادى الآخرة لم يكن يوم الاثنين وانما كان يوم الجمعة . وذلك ان الهجرة كانت في شهر ربيع الأول ولما اراد الصحابة في عهد عمر التأريخ بالهجرة جعلوه من أول السنة القمرية التي حدثت فيها فكان في ذلك زيادة شهرين كما هو مشهور . ثم انه اكثر من الشهود ليظهر كذبه أيضا وهاك البيان بالايجاز

في ذكره لاء الشهود أربعة أنواع الغلط احدها واهونها الاسماء المحرفة والمصحفة كالفضيل بن العباس صوابه الفضل وحسن بن ثابت صوابه حسان وابو درداء صوابه الدرداء ويزيد بن ثابت صوابه زيد . والثاني من لم يكن اسلم كمعاوية . والثالث من كان قدمات او استشهد كحمزة . والرابع من لا وجود لهم في الصحابة كداود بن جبير والعاصي ابو حنيفة واساف بن يزيد وكعب بن كعب . ولو استقصينا كل ما في هذا العهد المكذوب من الخطإ لأفضى بنا ذلك الى تطويل نحن في غنى عنه بهذا القول الوجيز

* * *

﴿ رسم المصحف ﴾

(س ٢٨) من صاحب الامضاء في قزان (روسيا) في ٦ جمادى الآخرة

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة الاستاذ الفاضل السيد رشيد رضا حفظه الله ومتعنا وسائر المسلمين بعلومه الشريفة

اما بعد فان من المسائل التي تدور بيننا الآن مسئلة رسم المصاحف المطبوعة في بلدة قزان ، حيث ان العلماء صرحوا بأن رسم المصاحف يجب فيه الاتباع لرسم المصاحف التي كتبت بامر سيدنا عثمان رضي الله عنه وفي رسم المصاحف القزانية مخالفة كثيرة لرسم تلك المصاحف فتشكلت بقزان لجنة من العلماء والقراء لتفتيش رسم هذه المصاحف ونصوص العلماء فيه وتكلموا في وجوب الاتباع وعدمه فذهب كثير منهم الى انه ينبغي اتباع رسم المصاحف العثمانية وان الرسم سنة متبعة ، على ما نص عليه ابو عمرو الداني والشاطبي والجزري والسيوطي والزمخشري وغيرهم . وبعضهم قالوا انه لا يجب اتباع الرسم محتجين بقول شيخ الاسلام العز بن عبد السلام حيث قال « اما الآن فلا يجوز كتابة المصاحف على المرسوم الاول خشية الالتباس ولئلا يوقع في تغيير من الجهال » ويجيب الفريق الاول عن هذا بان المواضع التي يتوهم فيها الالتباس يمكن التخلص منها بالنقط والاشكال . ثم فتشوا المصاحف المطبوعة في الديار الاسلامية من الاستانة ومصر وهند وغيرها فوجدوا فيها ايضا مخالفة كثيرة لرسم المصاحف العثمانية ، فما ندري ما سبب عدم اعتنائهم في هذا الباب ؟ أأهملوا في رسم كتابنا المقدس ، ام لايقولون بلزوم الاتباع . واذا كان الاتباع واجبا كما يقول به اكثر الائمة فما ينبغي ان نصنع لنقرأ برواية حفص المعروفة في بلادنا في مثل كلمة «آتان» في سورة النمل آية ٣٦ فانه كتب في مصاحف سيدنا عثمان رضي الله عنه كلها بغير ياء بعد النون والحال ان حفصا يقرأه آتاني بياء مفتوحة بعد النون فكيف يكون زيادة ياء بعد النون في مثل هذه المواضع تخلصا من الالتباس والتلفيق في القراءة . وهل يجوز مخالفة الرسم لاجل الضرورة في مثل تلك الضروة وما نصنع في الكلمات التي حذفت فيها الالفات في بعض المصاحف المطبوعة والمكتوبة القديمة مثل كلمة الاعلام والاحلام والاقلام والازلام والاولاد ، وتلك الكلمات كتبت في بعض المصاحف « الا علم والا حلم والا قلم » بحذف الالف بعد اللام والحال ان قاعدة الخط العربي تقتضي اثبات الالف في مثلها : وليس فيها نص صريح من علماء الرسم في حق الحذف أو الاثبات . هل ينبغي فيها اتباع قاعدة رسم الخط العربي واثبات الالفات ام تقول «انهم كانوا يعتبرون الظهور وعدم الالتباس ولهذا كانوا

يحذفون الالفات فماظهر المراد(منه) مثل الكلمات المذكورة» فنحذف الالفات فيهن .
ورسم المصاحف المطبوعة هنا ليس على نسق واحد ، في بعضها تلك الكلمات مكتوبة بألفات بعد اللام وفي بعضها بحذف الالفات . وان المصحف الذي يحفظ في بلدة بترسبورغ عاصمة الروسية في المكتبة الامبراطورية ويظن كونه واحدا من مصاحف سيدنا عثمان رضي الله عنه قد حذف فيه الالفات في مثل هذه المواضع .
والعلامة شهاب الدين المرجاني القزاني الذي افنى عمره في خدمة العلم وصنف كتابا مفيدا في رسم المصحف وكان مأمورا بتصحيح المصاحف المطبوعة من جهة الحكومة قد حذف الالفات قصدا في مثل هذه الكلمات ولزيادة الاطمئنان ولكون المسألة عامة مهمة ومتعلقة بعموم اهل الاسلام اتفقنا على المراجعة الى(؟) جنابكم المحترم بالاستفسار في تلك المسئلة رجاء ان تتفضلوا بابداء ملاحظاتكم العالية في صفحات المنار . والسلام والا كرام

رئيس اللجنة المتشكلة لتفتيش رسم المصاحف المطبوعة ببلدة قزان
ملا صادق الايمانقولى القزاني

(ج) ان ديننا يمتاز على جميع الأديان بحفظ أصله منذ الصدر الأول فالذين تلقوا القرآن عمن جاء به من عند الله(ص) حفظوه وكتبوه وتلقاه عنهم الالوف من المؤمنين وتسلسل ذلك جيلاً بعد جيل . وقد أحسن التابعون وتابعوهم وأئمة العلم في اتباع الصحابة في رسم المصحف وعدم تجويز كتابته بما استحدث الناس من فن الرسم وان كان أرقى مما كان عليه الصحابة رضوان الله عليهم لأنه صنعة ترتقي بارتقاء المدنية إذ لو فعلوا لجاز أن يحدث اشتباه في بعض الكلمات باختلاف رسمها وجهل أصلها .
فالاتباع في رسم المصحف يفيد مزيد ثقة واطمئنان في حفظه كما هو وبعد الشبهات ان تحوّم حوله ، وفيه فائدة أخرى وهي حفظ شيء من تاريخ الملة وسلف الامة كما هو
نعم ان تغير الرسم واختلاف الإملاء يجعل قراءة المصحف على وجه الصواب خاصة بمن يتلقاه عن القراء ولذلك أحدثوا فيه النقط والشكل وهي زيادة لا تمنع معرفة الاصل على ما كان عليه في عهد الصحابة . ثم إنه يجعل تعليم الصغار عسرا

ولذلك افتى الامام مالك بجواز كتابة الألواح ومصاحف التعليم بالرسم المعتاد كما قال:

قال علم الدين السخاوي في شرحه لعقيلة الشاطبي قال أشهب رحمه الله سئل مالك رضي الله عنه أرأيت من استكتبته مصحفا أترى أن يكتب على ما أحدث الناس من الهجاء اليوم؟ فقال لا أرى ذلك ولكن يكتب على الكِتبة الاولى . قال مالك ولا يزال الانسان يسألني عن نقط القرآن فأقول له أما الامام من المصاحف فلا أرى أن ينقط ولا يزاد في المصاحف مالم يكن فيها وأما المصاحف الصغار التي يتعلم فيها الصبيان وألواحهم فلا أرى بذلك بأسا. ثم قال « أشهب » والذي ذهب اليه مالك هو الحق اذ فيه بقاء الحال الأولى الى أن يعلمها الآخر وفي خلاف ذلك تجهيل الناس بأوّليتهم . وقال أبو عمر الداني (في كتابه المسمى المحكم في النقط) عقيب قول مالك هذا ولا مخالف لمالك في ذلك من علماء الامة اه

فالذي أراه هو الصواب أن تطبع المصاحف التي تتخذ لأجل التلاوة برسم المصحف الامام الذي كتبه الصحابة عليهم الرضوان حفظا لهذا الأثر التاريخي العظيم الذي هو أصل ديننا كما هو لكن مع النقط والشكل للضبط . ولو كان لمثل الأمة الانكليزية هذا الأثر لما استبدلت به ملك كسرى وقيصر ولا أسطول الالمان الجديد الذي هو شغلها الشاغل اليوم . واما الالواح والأجزاء وكذا المصاحف التي تطبع لاجل تعليم الصغار بها في الكتاتيب فلتطبع بالرسم المصطلح عليه اليوم من كل وجه تسهيلا للتعليم ومتى كبر الصغير وكان متعلما للقرآن بالرسم المشهور لا يغلط إذا هو قرأ في المصاحف المطبوعة برسم الصحابة مع زيادة النقط والشكل . وكذلك يكتب القرآن في اثناء كتب التفسير وغيرها بالرسم الاصطلاحي ليقرأه كل أحد على وجه الصواب . وبهذا نجمع بين حفظ أهم شيء في تاريخ ديننا و بين تسهيل التعليم وعدم اشتباه القارئين

اما ما احتج به العز بن عبد السلام على رأيه فليس بشيء لأن الاتباع إذا لم يكن واجبا من الاصل فلا فرق بين الآن الذي قال فيه ما قال و بين ما قبله وما بعده بل يكتب الناس القرآن في كل زمن بما يتعارفون عليه من الرسم واذا كان واجبا في الاصل وهو مالا ينكره فترك الناس له لا يجعله حراما أو غير جائز لما ذكره من الالتباس بل يزال هذا الالتباس على انه لا يسلم له

واما ما طبعه المسلمون من المصاحف في الاستانة وقزان ومصر وغيرها من البلاد غير متبعين فيه رسم المصحف الإمام في كل الكلمات فسببه التهاون والجهل والاعتماد على بعض المصاحف الخطية التي كتبت قبل عهد الطباعة فرسم فيها بالرسم المعتاد الكلمات التي يظن انه يقع الاشتباه فيها إذا هم كتبوها كما كتبها الصحابة كلفظ «الكتاب» بالألف بعد التاء وهو في المصحف الإمام بغير ألف ليوافق في بعض الآيات قراءة الجمع فكتبوه بالألف . ولم أر مصحفا كتب أو طبع كله بالرسم المعتاد

ونحمد الله تعالى ان وفق بعض الناس الى طبع ألوف من المصاحف برسم الصحابة المتبع وأحسن المصاحف التي طبعت في أيامنا هذه ضبطا وموافقة للمصحف الإمام المتبع هو المصحف المطبوع في مطبعة محمد أبي زيد بمصر سنة ١٣٠٨ إذ وقف على تصحيحه وضبطه الشيخ رضوان بن محمد المخللاتي أحد علماء هذا الشأن وصاحب المصنفات فيه . وقد وضع له مقدمة بين فيها ما يحتاج اليه في ذلك . فالذي أراه انه ينبغي للجنة القرآنية ان تراجع هذا المصحف فانها تجد فيه حل عقد المشكلات كلها ان شاء الله تعالى ككلمة الاقلام وأمثالها وهي بغير ألف وكلمة «ءاتاني» التي رسمت في المصحف الامام «ءاتن» فيرون ان هذا المصحف وضع فوق النون ياء صغيرة مفتوحة هي من قبيل الشكل لتوافق قراءة حفص فهي فيه هكذا «ءاتنيَ»

وجملة القول إننا نرى أن الصواب الذي ينبغي ان يتبع ولا يعدل عنه هو أن تطبع الاجزاء والمصاحف التي يعلم فيها المبتدئون بالرسم الاصطلاحي لتسهيل التعليم وهو ماجرت عليه الجمعية الخيرية الاسلامية هنا باذن الاستاذ الامام رحمه الله تعالى فهي تطبع أجزاء القرآن كل جزء على حدته بالرسم الاصطلاحي وتوزعها على التلاميذ في مدارسها . واما سائر المصاحف فيتبع في طبعها رسم المصحف الامام كالمصحف الذي ذكرناه آنفا . واذا جرى المسلمون على هذا في الاستانة ومصر وقزان والقريم وسائر البلاد الاسلامية فلا يمضي جيل أو جيلان الا وتنقرض المصاحف التي طبع بعض كلماتها بالرسم الاصطلاحي و بعضها برسم الصحابة . ولا ضرر من وجودها الآن اذ هي مضبوطة بالشكل كغيرها فالاشتباه والخطأ مأمونان في جميع المصاحف ولله الحمد

بحث

﴿ في خطبة العقيلة المصرية « باحثة بالبادية » ﴾

نشرنا في الجزء الخامس هذه الخطبة ووعدنا بأن نبين رأينا فيها في هذا الجزء وكنا نريد ان نطيل القول فيه فكثرت علينا المواد العارضة فسامتنا الاختصار فكان مالا بد منه

ان الخطبة تساهم بعبارتها وأفكارها كتاب الطبقة الثانية من الرجال بمصر ولكني رأيت عبارة مقالاتها النسائيات في الجريدة أصح من عبارة الخطبة فيظهر أنها لم تعن بتحرير الخطبة عنايتها بتحرير المقالات كما يفعل الذين يكتبون الخطب قبل إلقائها ولا بد لذلك من سبب ينهض عذرا

أودع في الخطبة من الحكم ، ماهو جدير بأن يحفظ و يضرب به المثل ، ولا تخلو من الملح والافاكيه التي تستملح في الخطب ، لما فيها من تجديد النشاط وذود الملل ، ولم أر فيها على طولها شيئا تمنيت لولم يكتب — وان نطق به — الا كلمة واحدة في نساء الافرنج . ورأيت مسائلها المستمدة من الصحف ، اكثر من مسائلها المستمدة من الكتب ، فليت نساءنا يكثرن من قراءة الصحف فانها دروس تكرر فتثبت مباحثها في الذهن

ينتقد بعض الناس من الخطبة كثرة المباحث النظرية والمسائل البديهية ككون الزوجين الذكر والانثى خلقا للموادة لا للمباغضة وكون العالم لا يعمر بدونهما، وكونهما سواء في القوة والاستعداد أو متفاوتين ، وغير ذلك من المسائل الفلسفية والاجتماعية كمسألة تعليم احد الصنفين كل مايتعلمه الآخر أو عدم تعليم البنات، ومسألة خلق النساء للبيوت والعمل فيها والرجال لكسب المعاش ومسألة الحجاب ويرى هؤلاء المنتقدون ان القسم الأول من الخطبة لو كان كالقسم الثاني في الأمور العملية الواقعة من العادات والمعاملات بين الرجال والنساء لكان خيرا وأنفع

وتقول ان ماذكرته الخطيبة من هذه المباحث نافع ولا بد منه وان كان بعضه خطأ في نظرنا و بعضه يعلو أفهام كثيرات من حاضرات الخطبة، وانما نفعه أنه يحرك اذهانهن و ينبه أفكارهن فتخرج به عقول بعضهن من مضيق ليس فيه الا الصور الزينة والاثاث والرياش الى فضاء واسع فيه كل شيء ومتى فكرت الواحدة منهن في مسألة من تلك المسائل يكون لها فيها رأي خاص قد يخالف رأي الخطيبة وقد يوافقه وذلك ضرب من ضروب ترقية الفكر التي يطلبها الرجال المحبون لإصلاح الامة

نعم ان القسم الآخر الذي يبحث فيه عن العادات والاخلاق والآداب التي هي مناط السعادة بين الصنفين هو أنفع وأولى بالعناية وقد أجادت الخطيبة وأفادت بما ألقته على المستمعات لها من النصائح والمباحث وذكرتهن بما يغفل عنه اكثرهن من أمر الصلة بينهن و بين الرجال وما يجب ان تكون عليه . ولكنه قلما يفيد الرجال فائدة جديدة لأنهم يعرفونه في الغالب لما سبق لكتابهم من الخوض فيه وهم ينتظرون ان يستفيدوا من كتابة المرأة في النساء اكثر مما يستفيدون من كتابة الرجال عنهن. وعسى أن تكثر الفوائد لكل منها فيما يجود به الخطيبة من الخطب والمقالات من بعد ، فأن أول الغيث قطر ، وقليلها لا يقال له قليل

لقد قربت الخطيبة مسافة التفاوت بين الرجال والنساء في العقـل والفهم كما قربت مسافة التفاوت بين المرأة المصرية والمرأة الغربية . وما قالته أشـبه بكلام السياسيين الذين يراعون المصلحة فقط منه بكلام الفلاسفة الذين يتحرون الحقيقة فقط أرادت أن ترفع من شأن صنفها في أنفسهن وأنفس الرجال وان ترغب رجال وطنها في الوطنيات وتنفرهن عن الاجنبيات فجاءت من الخطابيات في هذا المقام بما يناسبه

ونرجو ان تعيد الكرة فتبحث في مسألة التفاوت بين الرجال والنساء فيما يتعلق بالبيوت والخطبة والزواج والحياة الزوجية بحث المؤرخ الحكيم ، والاجتماعي الخبير ، وان تكون مستقلة في ذلك غير مقلدة لمن كتب من الرجال في هـذه المسائل ولا مستمدة منهم شيئاً ، بل من البحث في العادات والاختبار للأحوال ، لعلها تستطيع ان ترشـدهن الى ما يرقق حجاب جهلهن ، فيجعله كبراقع وجوههن ، فيبصرن ما بين الرجال و بينهن ، مما يحول دون ما يجب من الألفة والود بينهم و بينهن ،

اذا كانت المشا كلة في الاخلاق والعادات ،والمساهمة في الأهواء والرغبات ٬ معياراً للمساواة بين النساء والرجال ٬ فلا مندوحة لنا عن القول معها بأن السواد الاعظم من أهل هذه البلاد لايزال ذ كرانهم واناثهم في مستوى واحد ولذلك يرضى جماهير الرجال بما يفتحره نساؤهم كل يوم من بدع التبرج والتهتك ٬ فقد مسن الرجال وفنكت النساء ، فصار جهور الفريقين في المجانة سواء ٬ ولذلك نرى الزواج لايزال كثيرا

واذا نظرنا في المسألة من وجه آخر نرى ان الرجال مهما فسدت أخلاقهم أرقى من النساء عقولا وأفكاراً وأن المتعلمين والمهذبين منهم أكثر وانه يوجد عدد كثير يتموعاما بعد عام قد تغير رأيهم ووجدانهم في الزواج فهم يطلبون فيه حياة إنسانية عالية لاتحصل بمجرد دواعي النسل ومقدماته ولا بالنسل نفسه وهو الغاية الطبيعية الشرعية له و إنما هي عبارة عن حاسة زائدة على الحواس الخمس يدرك بها كل من الزوجين من الانس وسكون النفس وشعور الود والرحمة والاخلاص مالم يكن يدرك حقيقته قبل الزواج وانما يشعر كل احد باضطراب في نفسه يصاحبه علم ضروري بانه لايزول الا بالسكون الذي يكون بالزواج بعد إحكام عقد الزوجية (كما بينا ذلك في مقالات الحياة الزوجية من المجلد الثامن) ولكن المرتقين يعرفون من أركان ذلك وشروطه ومن قيمته مالا يعرفه من دونهم يعلم هؤلاء المرتقون في مراتب الانسانية ان تلك الحياة التي تلتمسها فطرتهم لاتنال الا اذا اقترنوا بمن هن على مقربة منهم في الفهم والخلق ومعرفة قيمة الحياة الزوجية فهل يوجد كثيرات من هذا الطراز في نسائنا ؟

ان الشاب من هؤلاء ليبحث السنين الطوال عن فتاة مهذبة الاخـلاق ٬ ذكية الفؤاد ، وان لم تكن ذات جمال بارع ، ولا رزق واسع ٬ بل منهم من يشترط عدم ذلك ثم هو لا يظفر بمطابه ٬ على ان المرّضات (أي للخطبة والزواج) كثيرات في البيوت وفي الشوارع والأسواق ٬ وقد تعرف الفتاة هي وأهلها الخاطب فيرضون مقامه وعيشته ودينه وأخلاقه ثم يصدهم عن قبول خطبته عادة من اسخف العادات و إن كانوا يظنون انهم لا يكادون لا يجدون صهرا مثله ، ومنهم من يرد خطبته لأن الفتاة لا يعجبها زيّ ثيابه

ومن هؤلاء من تزوج بعد التحري الطويل في السنين الطوال فلم يكن في

زواجه الا شقيا . أعرف شابا من هؤلاء رغب عن الزواج زمنا طويلا عرّض له فيه بعض رؤسائه الاغنياء في الحكومة برغبتهم في مصاهرته فتجاهل ذلك وسعى في الخروج من دائرة رياستهم ، لخجله من العمل فيها مع رد رغبتهم ثم تعاونت عليه الفطرة والعفة ، فلم ير بدا من طاعتهما في طلب الزوجة ، فكان من رأيه أن يقترن بفتاة متعلمة تكون دونه جمالا ، ومثله أو دونه مالا ، حتى لايحجبها الإدلال عليه بجمالها ومالها عن معرفة قيمته ، والغبطة بالاقتران به ، وماذا كان ، بعد الظفر بهذا القران

كان ان تلك الدميمة عاملته بالصلف والزهو ، وحاولت استعباده لهواها ، وألحت في ذلك الحاحا ، ولجت في عتو ونفور ، حتى عيل صبره ، ولم ينجع فيها وعظه ولا هجره ، ولم يلق من أهلها الا ناصرا لها عليه ، ومغريا لها بسوء معاملته ، والتهكم بصلاته وديانته ، فأنشأ يستشيرني في طلاقها وانا اقول له (٣٣ : ٢٧ اتق الله وامسك عليك زوجك ـ ٤ : ١٩ فان كرهتموهن فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا) ثم طلقها ولو شاء ان لا يعطيها شيئا لفعل فانها رضيت بأن تبرئه من حقها ولكنه أعطى الحق وزيادة

لست أحكم على المرأة وأهلها بقول أحد الخصمين فانني كنت واقفا على جميع وقائع القضية اذ كان الرجل يستشيرني في كل شيء فآمره بالحلم والصبر وحسن الخلق مع الثبات على مطالبه الشرعية كستر الرأس والصدر والساعدين والعضدين في حضرة غير المحارم من الاقارب الذين اعتادوا زيارتهم امتثالا للشرع لا اتباعا للظنة ٠ ولو شئت لذكرت غير هذه الواقعة من أمثالها

أليس عجيبا ان يجهل قدر أمثال هؤلاء الرجال مع حرص زوجاتهم على تحبيب أنفسهن اليهم والاستعانة على ذلك بالعزائم والطلسمات ، والبخور والتجاجيس والتولات ، وهم يقولون لهن ، غير هذا أولى لكن ، وأدنى الى حظوتكن ، تبذلن بعض عنايتكن ، في تدبير أمر بيوتكن ، لتكون العيشة فيها راضية ، والحياة معكن هنيئة ، واعلمن ان الخرافات التي يعبر عنها بالروحانيات ، لاسلطان لها على نفوس العقلاء ، فاستمالتنا بها كاستمالتنا بالاسراف في الزينة مما تمجه أذواقنا ، وتشمئز منه نفوسنا ، وأنى لهن بفهم هذا الكلام وتصديقه ؟ انهن لايفهمن منه الا انه احتقار لهن ، وميل عنهن الى غيرهن ،

ليس الغرض من هذا إثبات كون الرجال كلهم مظلومين مع النساء كلا ان منهن

من لاترى بعلها الا محمولا في السحر من حانات الأزبكية ومواخيرها الى بيتها فيلقى فيه كأنه ميت لايعي ولايتحرك، الا ان يقول هجرا، أو يأتي نكرا ، وانما الغرض منه بيان ان المهذبين لايكادون يجدون مهذبات يعرفن قيمتهم وان خير النساء عفة وأدبا ليفضلن في الغالب المجان الفاسقين من الرجال لتصبيهم إياهن بالتطرز والتطرس والتورن (١) على ان حظهن منهم بعد الزواج يكون في الا كثر دون حظ فواجر الاجنبيات والوطنيات لانهم في الغالب من الذواقين

ليس بين الرجال والنساء عندنا الآن خلاف كبير في مسألة توسعهن في العلوم ولا في مسألة مزاحمتهن لهم في الاعمال فاذ كرته الخطيبة في ذلك جاء قبل أوانه وانما ا كبر الخلاف في كون جمهور عظيم من المتعلمين يطلبون حياة جديدة في البيوت فلايجدونها لذلك قل التزوج في هذا الصنف وأ كثر المتزوجون من أفراده الأغنياء من استخدام الأوربيات ولذلك يتزوج بعض المتفرنجين بهن حتى صار في مصر احتلالان اجنبيان - كاقالت الخطيبة - أحدهما في المواقع العسكرية وثانيهما وهو أشأمهما في البيوت

قالت ان الرجال يخطئون في إناطة فساد النساء بالتعلم وحقهم ان ينيطوه بالتربية وقالت انه لاصلة بين التعليم والتربية الا في تعلم الدين • قد أحسنت في جعلها أمر التربية أهم من أمر التعليم ولكنها افتأتت علينا بما نسبته الينا فاننا نشكو من فساد التربية ا كثر مما نشكو من فساد التعليم وقلته • وليس الانفصال بين التربية والتعليم بالمقدار الذي ادعته فان التعليم الصالح يمد التربية الصالحة ويغذيها وهي الاصل في الصلاح فيمكن ان يكون الامي صالحا بحسن التربية ولكنه لايبلغ مرتبة من ربي وتعلم • وأما من تعلم ولم يترب على الاعمال الصالحة فيكون شرا من الجاهل الذي لم يؤخذ بالتربية لانه يكون أعلم بوجوه الشر وأجرأ على العمل بها

اذاً لا بد من تربية البنات وتعليمهن ليحسن ادارة بيوتهن ويكن قرة عين لأزواجهن في انفسهن وأولادهن (ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما)

---

(١) تطرز الرجل وتطرس تنوق في اللباس فلم يلبس الا فاخرا • ويقال أيضا تطرس في الطعام اذا تنوق فيه • وتورن ا كثر من التدهن والتنعم

الجزية وتجنيد أهل الذمة

جرى الصحابة في فتوحاتهم على جعل الجزية التي يفرضونها على أهل الذمة جزاء على حمايتهم والدفاع عنهم وعدم تكليفهم منع أنفسهم وبلادهم أي حمايتها والدفاع عنها ولذلك كانوا يفرضونها على من هم أهل للدفاع دون غيرهم كالشيوخ والنساء فكان ذلك منهم تفسيرا وبيانا لمراد الكتاب العزيز منها . وكأن العثمانيين سموها لأجل ذلك بدل عسكرية

ولما كان من مقتضى الدستور العثماني تجنيد جميع العثمانيين وتكليفهم تعلم الفنون العسكرية وأعمالها لأجل الاشتراك مع المسلمين في الدفاع عن أنفسهم وبلادهم التي هي بلاد جميع العثمانيين كان من لوازم ذلك وضع الجزية أو بدل العسكرية عنهم

وهنا مسألتان يظن الجاهل بحقيقة الشريعة الإسلامية وأصولها أن الدستور مخالف لها فيهما إحداهما انه لا يجوز تكليف أهل الذمة الدفاع عن أنفسهم ولا عن البلاد التي يقيمون فيها ما دام للمسلمين ولاية عليها . والثانية ان الجزية فرض لازم لا يجوز وضعه بحال

فاما المسألة الاولى فيصح ان يقال فيها اننا لا نسلم انه لا يجوز تجنيد أهل الذمة اذا اقتضت المصلحة العامة ذلك برأي أهل الشورى فان المصلحة العامة هي الاصل والاساس للحكومة لا تترك لغيرها وانما يترك غيرها لها وقد سبق لنا تقرير هذا الاصل واثباته غير مرة . على اننا إذا سلمنا جدلا انه لا يجوز إكراههم على مساعدتنا على الدفاع عن أنفسنا وأنفسهم وبلادنا وبلادهم فلنا ان نقول ان أمر التجنيد لا ينفذ إلا بعد أن يقرره مجلس النواب العام الذي اشتركنا نحن وإياهم في انتخاب أعضائه وجعلناهم وكلاء عنا ليقرروا ويضعوا القوانين التي تقوم بها مصلحة الجميع وهذا ينافي كون التجنيد بالاكراه وان كره بعض رؤساء الدين المتعصبين منهم فان هؤلاء الرؤساء ليسوا نوابا عن أهل دينهم في وضع القوانين

وأما المسألة الثانية فيدلك على الحق فيها هذه النصوص التي نقلها عن رسالة الشيخ شبلي النعماني العالم الشهير نشرت في أواخر السنة الاولى من المنار حقق فيها ما ذكرناه من كون الجزية جزاء الحماية والدفاع وأورد في الاستدلال على ذلك هذه النصوص المروية فقال :

ولعلك تطالبني باثبات بعض القضايا المنطوية في هذا البيان أي إثبات أن الجزية ما كانت تؤخذ من الذميين الا للقيام بحمايتهم والمدافعة عنهم وان الذميين لو أدخلوا في الجند أو تكفلوا أمر الدفاع لعفوا عن الجزية فان صدق ظني فاصغ الى الروايات التي تعطيك الثلج في هذا الباب وتحسم مادة القيل والقال .

(فمنها) ما كتب خالد بن الوليد لصلوبا ابن نسطونا حينما دخل الفرات وأوغل فيها وهذا نصه: «هذا كتاب من خالد بن الوليد لصلوبا ابن نسطونا وقومه اني عاهدتكم على الجزية والمنعة فلك الذمة والمنعة وما منعنا كم (أي حمينا كم) فلنا الجزية والا فلا. كتب سنة ثنتي عشرة في صفر» (ومنها) ما كتب نواب العراق لاهل الذمة وهاك نصه «براءة لمن كان من كذا وكذا من الجزية التي صالحهم عليه خالد والمسلمون . لكم يد على من بدل صلح خالد ما أقررتم بالجزية وكنتم . أمانكم أمان وصلحكم صلح ونحن لكم على الوفاء » .

(ومنها) ما كتب أهل ذمة العراق لامراء المسلمين وهذا نصه « انا قد أدينا الجزية التي عاهدنا عليها خالد على أن يمنعونا وأميرهم البغي من المسلمين وغيرهم » (ومنها) المقاولة التي كانت بين المسلمين و بين يزدجرد ملك فارس حينما وفدوا على يزدجرد وعرضوا عليه الاسلام وكان هذا في سنة أربع عشرة في عهد عمر بن الخطاب وكان من جملة كلام نعمان الذي كان رئيس الوفد « وان اتقيتمونا بالجزاء قبلنا ومنعنا كم والا قاتلنا كم » . (ومنها) المقاولة التي كانت بين حذيفة بن محصن و بين رستم قائد الفرس وحذيفة هو الذي أرسله سعد بن أبي وقاص وافدا على رستم في سنة أربع عشرة في عهد عمر بن الخطاب وكان في جملة كلامه « أو الجزاء ونمنعكم ان احتجتم الى ذلك » فانظر الى هذه الروايات الموثوق بها كيف قارنوا بها بين الجزية والمنعة وكيف صرح خالد في كتابه بأنا لا نأخذ منكم الجزية إلا اذا منعنا كم ودفعنا عنكم وان عجزنا عن ذلك فلا يجوز لنا أخذها

وهذه المقاولات والكتب مما ارتضاها عمر وجل الصحابة فكان سبيلها سبيل المسائل المجمع عليها . قال الامام الشعبي وهو أحد الائمة الكبار أخذ « أي سواد العراق » عنوة وكذلك كل ارض الا الحصون فجلا أهلها فدعوا الى الصلح والذمة فأجابوا وتراجعوا فصاروا ذمة وعليهم الجزاء ولهم المنعة وذلك هو السنة كذلك منع رسول الله صلى الله عليه وسلم بدومة »

ولا تظنن أن شرط المنعة في الجزية انما كان يقصد به مجرد تطييب نفوس أهل الذمة واسكان غيظهم ولم يقع بالعمل قط فان من أمر النظر في سير الصحابة واطلع على مجاري أحوالهم عرف من غير شك انهم لم يكتبوا عهدا ولا ذكروا شرطا الا وقد عضوا عليها بالنواجذ وافرغوا الجهد في الوفاء بها وكذلك فعلهم في الجزية التي يدور رحى الكلام عليها ـ فقد روى القاضي أبو يوسف في كتاب الخراج عن المكحول انه لما رأى أهل الذمة وفاء المسلمين لهم وحسن السيرة فيهم صاروا أشداء على عدو المسلمين وعيونا للمسلمين على اعدائهم فبعث أهل كل مدينة رسلهم يخبرونهم بأن الروم قد جمعوا جمعا لم ير مثله فأتى رؤساء أهل كل مدينة الامير الذي خلفه أبو عبيدة عليهم فأخبروه بذلك فكتب والي كل مدينة ممن خلفه أبو عبيدة الى ابي عبيدة يخبره بذلك وتتابعت الاخبار على ابي عبيدة فاشتد ذلك عليه وعلى المسلمين فكتب أبو عبيده الى كل وال ممن خلفه في المدن التي صالح أهلها يأمرهم أن يردوا عليهم ماجبي منهم من الجزية والخراج وكتب اليهم أن يقولوا لهم انما رددنا عليكم أموالكم لانه قد بلغنا ما جمع لنا من الجموع وانكم قد اشترطتم علينا ان نمنعكم وانا لا نقدر على ذلك وقد رددنا عليكم ما أخذنا منكم ونحن لكم على الشرط وما كان بيننا و بينكم ان نصرنا الله عليهم . فلما قالوا ذلك لهم وردوا عليهم الاموال التي جبوها منهم قالوا « ردكم الله علينا ونصركم عليهم فلو كانوا هم لم يردوا علينا شيئاً وأخذوا كل شيء بقي حتى لايدعوا شيئاً »

وقال العلامة البلاذري في كتابه فتوح البلدان حدثني أبو جعفر الدمشقي قال حدثنا سعيد بن عبد العزيز قال بلغني انه لما جمع هرقل للمسلمين الجموع و بلغ المسلمين اقبالهم اليهم لوقعة اليرموك ردوا على أهل حمص ما كانوا أخذوا منهم من

الخراج وقالوا « قد شغلنا عن نصرتكم والدفع عنكم فأنتم على أمركم » فقال أهل حمص « لولايتكم وعدلكم أحب الينا مما كنا فيه من الظلم والغشم ولندفعن جند هرقل عن المدينة مع عاملكم . ونهض اليهود فقالوا والتوراة لايدخل عامل هرقل مدينة حمص الا أن نغلب ونجهد فأغلقوا الابواب وحرسوها وكذلك فعل أهل المدن التي صولحت من النصارى واليهود وقالوا إن ظهر الروم واتباعهم على المسلمين صرنا على ما كنا عليه والا فانا على أمرنا مابقي للمسلمين عدد

وقال العلامة الازدي في كتابه فتوح الشام يذكر اقبال الروم على المسلمين ومسير أبي عبيدة من حمص « فلما أراد أن يشخص دعا حبيب بن مسلمة فقال اردد على القوم الذين كنا صالحناهم من أهل البلد ما كنا أخذنا منهم فانه لا ينبغي لنا إذ لا نمنعهم ان نأخذ منهم شيئا وقل لهم نحن ما كنا عليه فيما بيننا و بينكم من الصالح ولا نرجع عنه الا أن ترجعوا عنه وانما رددنا عليكم أموالكم لأنا كرهنا أن نأخذ أموالكم ولا نمنع بلادكم » فلما أصبح أمر الناس ان يرتحلوا الى دمشق ودعا حبيب ابن مسلمة القوم الذين كانوا أخذوا منهم المال فأخذ يرد عليهم وأخبرهم بما قال أبو عبيدة وأخذ أهل البلد يقولون «ردكم الله الينا ولعن الله الذين كانوا يملكوننا من الروم ولكن والله لو كانوا هم ما ردوا الينا بل غصبونا وأخذوا مع هذا ماقدروا عليه من أموالنا » وقال أيضا يذكر دخول أبي عبيدة دمشق « فأقام أبو عبيدة بدمشق يومين وأمر سويد بن كلثوم القرشي ان يرد على أهل دمشق ما كان اجتبى منهم الذين كانوا أمنوا وصالحوا فرد عليهم ما كان أخذ منهم وقال لهم المسلمون نحن على العهد الذي كان بيننا و بينكم ونحن معيدون لكم أمانا » »

اما ما ادعينا من ان أهل الذمة اذا لم يشترطوا علينا المنعة وشاركونا في الذب عن حريم الملك لا يطالبون بالجزية أصلا فعمدتنا في ذلك أيضا صنيع الصحابة وطريق عملهم فانهم أولى الناس بالتنبه لغرض الشارع وأحقهم بادراك سر الشريعة «والروايات في ذلك وان كانت جمة ولكن نكتفي هنا بقدر يسير يغني عن كثير (فمنها) كتاب العهد الذي كتبه سويد بن مقرن أحد قواد عمر بن الخطاب لرزبان وأهل دهستان وهاك نصه بعينه « هذا كتاب من سويد بن مقرن لرزبان صول ابن رزبان وأهل

دهستان وسائر أهل جرجان ان لكم الذمة وعلينا المنعة على ان عليكم من الجزاء في كل سنة على قدر طاقتكم على كل حالم ومن استعنا به منكم فله جزاؤه في معونته عوضا عن جزائه ولهم الأمان على أنفسهم وأموالهم ومللهم وشرائعهم ولا يغير شيء من ذلك شهد سواد بن قطبه وهند بن عمر وسماك بن مخرمة وعتيبة بن النهاس وكتب في سنة ١٠٨ اهـ « طبري » ص ٢٦٥٨

ومنها الكتاب الذي كتبه عتبة بن فرقد أحد عمال عمر بن الخطاب وهذا نصه:

« هذا ما أعطى عتبة بن فرقد عامل عمر بن الخطاب أمير المؤمنين أهل أذربيجان سهلها وجبلها وحواشيها وشفارها وأهل مللها كلهم الامان على أنفسهم وأموالهم ومللهم وشرائعهم على ان يؤدوا الجزية على قدر طاقتهم ومن حشر منهم في سنة وضع عنه جزاء تلك السنة ومن أقام فله مثل ما لمن أقام من ذلك اهـ (طبري صحيفة ٢٢٦٢)

ومنها العهد الذي كان بين سراقة عامل عمر بن الخطاب وبين شهر براز كتب به سراقة الى عمر فأجازه وحسنه وهاك نصه :

« هذا ما أعطى سراقة بن عمرو عامل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب شهر براز وسكان أرمينية والأرمن من الأمان أعطاهم أمانا لأنفسهم وأموالهم وملتهم أن لا يضاروا ولا ينقضوا وعلى أرمينية والأبواب الطرّاء منهم والتّناء (١) ومن حولهم فدخل معهم أن ينفروا لكل غارة وينفذوا لكل أمر ناب أولم ينب رآه الوالي صلاحا على أن توضع الجزاء عمن أجاب الى ذلك ومن استغنى عنه منهم وقعد فعليه مثل ما على أهل اذربيجان من الجزاء فان حشروا وضع ذلك عنهم ، شهد عبد الرحمن بن ربيعة وسلمان بن ربيعة وبكير بن عبد الله وكتب مرضي بن مقرن وشهد اهـ (طبري صحيفة ٢٦٦٥ و٢٦٦٦)

ومنها ما كان من أمر الجراجمة وقد أتى العلامة البلاذري على جملة من تفاصيل أحوالهم فقال حدثني مشايخ من أهل انطاكية ان الجراجمة من مدينة على جبل لكام عند معدن الزاج فيما بين بياس وبوقا يقال لها الجرجومة وان أمرهم كان في

(١) الطراء الغرباء الذين يطرءون جمع طارئ والتناء المقيمون

استيلاء الروم على الشام وانطاكية الى بطريق انطاكية و واليها فلما قدم أبو عبيدة انطاكية وفتحها لزموا مدينتهم وهموا باللحاق بالروم إذ خافوا على أنفسهم فلم يتنبه المسلمون لهم ولم ينبهوا عليهم ثم ان أهل انطاكية نقضوا وغدروا فوجه اليهم أبو عبيدة من فتحها ثانية وولاها بعد فتحها حبيب بن مسلم الفهري فغزا الجرجومة فلم يقاتله أهلها ولكنهم بدروا بطلب الأمان والصلح فصالحوه على ان يكونوا أعوانا للمسلمين وعيونا ومسالح في جبل اللكام وان لا يؤخذوا بالجزية ، ثم ان الجراجمة مع انهم لم يوفوا ونقضوا العهد غير مرة لم يؤخذوا بالجزية قط حتى ان بعض العمال في عهد الواثق بالله العباسي ألزمهم جزية رؤوسهم فرفعوا ذلك إلى الواثق فأمر باسقاطها عنهم اه

(المنار) لفظ المنع في هذه الكتب والعهود معناه الحماية كما اشرنا الى ذلك في رواية منها



التعصب الديني في أوربا

تتهم أوربا أهل الشرق عامة والمسلمين خاصة بالغلو في التعصب الديني الذي يفضي الى إيذاء المخالف في الدين او المذهب وغمط حقوقه . وقد كتبنا في المجلد الأول من المنار مقالات بينا فيها ان مهد التعصب هو أوربا وان الشرقيين عامة والمسلمين خاصة لا يبلغون مدّ اوربا ولا صاعها ولا يردها ولا امترها في التعصب . وحسبك انها اكرهت جميع من كان فيها من الوثنيين ثم من المسلمين على النصرانية الا من هاجر وترك أرضه وماله من حيث بقيت جميع الاديان في الشرق لا سيما الممالك الاسلامية منه . ثم إنها سفكت من الدماء الغزيرة لاجل الخلاف في المذاهب النصرانية نفسها مالم يعرف له نظير في الشرق . وقد انقلبت فيها طبيعة الاجتماع بالعلوم والأعمال الدنيوية وكثر الملحدون واعطت أكثر الحكومات الاوربية الحرية حقها في كل شيء ولم يقو ذلك كله على محو التعصب الديني لا من مثل روسية التي لا تزال حكومتها نفسها متعصبة فقط بل من مثل انكلترا العريقة في

الحرية . وقد نقل الينا البرق والبريد في هذا العام ان الحكومة الانكليزية لم تمكن الكاثوليك من القيام بتقاليدهم الدينية في عيد الفصح . وجاء البرق في هذه الايام بأن تلاميذ المدارس البروتستانت والكاثوليك في ليفربول قد تشاجروا فيها تشاجرا ادى الى إقفال الحكومة خمسين مدرسة منها وان امهاتهم شاركتهم في هذا الجهاد الديني . وقدنشر في جريدة الاخبار أحد الكتاب مقالة في ذلك فكهة هذا نصها :

﴿ التعصب الديني الانكليزي ﴾

« هل الصغار غير الكبار »

جاء في نبأ برقي من لندن انه أقفلت خمسون مدرسة في لفربول لوقوع مشاجرات بين أولاد البروتستانت والكاثوليك اشتركت أمهاتهم فيها

فاذا فرضنا ان في كل مدرسة من هذه المدارس ١٠٠ تلميذ نصفهم متساهلون والنصف متعصبون فيكون عدد الذين اشتركوا في هذه المعركة — على أقل تقدير — ألفي تلميذ من صميم الناشئة الانكلوسا كسونية . أما أسلحتهم فأولها « البوكس » الانكليزي وثانيها « الرفس » بالجزم الانكليزية وثالثها المضاربة بأدوات المدارس من ألواح الاردواز والبراجل والمقاشط والمساطر وغيرها مما لاتخلو منها جعبة تلميذ

ولا بد ان حضرات الأمهات المتدينات المتعبدات المتقيات من طائفة البروتستانت حملن معهن الى هذه المعركة ما وجدنه امامهن من أحذية قديمة وأرجل كراسي ومقشات وزجاجات فارغة . كما حملت بعض الكاثوليكيات الايقونات والصلبان تبركا وذخيرة لهذه الحرب الدينية المقدسة

ومع ان النبأ البرقي لم يأتنا بتفصيل واف عن أسباب هذه الحركة الصبيانية الملية التعصبية فانه لا شبهة في انها نشأت إما عن نفار مذهبي أو عن جدال ديني احتدم بين هؤلاء الصغار فازدرى به المدرسون لما هو مشهور عن أكثرهم من التباعد عن التداخل في كل أمر غير الفرض المدرسي

أما الأمهات المصونات فالراجح انهن أتين لمساعدة أولادهن وانقاذهن من خطر الملاكمة ثم رأين الحاجة داعية الى المداخلة الفعلية فتضاربن

ولو لم يكن الخطب جللا لما أقفلت ٥٠ مدرسة دفعة واحدة حتى لا يعود التلاميذ الى المخاصمة فالمقاتلة . وربما كانت العودة داعية الى اشتعال نيران الحقد الديني بين غيرهم من تلاميذ المدارس التجهيزية فالجامعة الذي يبلغ عدد طلبتها ٧٩٠ طالبا لان الكل منقسمون الى بروتستانت وكاثوليك وما أثر في التلاميذ الصغار يؤثر فيهم . وبذلك يعيد الانكليز أيام الحروب الدينية ويبرهنون لنا على ان ذاك الرقي المدني الهائل وحفظ أشعارشا كسبير وامتلاك المستعمرات التي لا تغيب عنها شمس لم ينفع في تربية الاخلاق وان دعوى اللورد كرومر بأن بلاد الشرق عامة ومصر خاصة مهبط التعصب الديني دعوى يكذبها اليوم فعل أبناء ليفربول الذين تجمعهم الجامعة الوطنية وتضمهم مدرسة واحدة ولم يحضر منهم أحد الى مصر ليتلقى دروس التعصب من المسلمين والاقباط

واذا كان صغار الامة عنوان كبارها وصورة لاخلاقهم فلا مراء في ان هؤلاء الانكليز يحملون لبعضهم من الاحقاد الدينية اثقالا مثقلة . لان تربيتهم البيتية والمدرسية متشابهة وما يتعلمونه مع شاي ليتون ووسكي بوكانان هنا وهناك مساو تماما لما يتلقنه صغار ليفربول الذين لم يكادوا يشبون عن الطوق حتى عرفوا كيف يتعصب فريق منهم للوثير وفريق للقديس بطرس والفضل في ذلك راجع الى السيدات المهذبات اللائي لا يكتفين بحقوقهن بل يطالبن بأن يكن مساويات للرجال في حق الانتخابات السياسية

ولا يقتصر التعصب على هؤلاء الانكليز من الامم التي نظنها أرقى منا طبائع وأفضل اخلاقا بل يشترك فيها الفرنسوي والايطالي والالماني والروسي - بنوع أخص - فاذا درست أخلاق أحدهم تجده يقطر تعصبا دينيا جنسيا وان لم يكن متدينا وذلك بحكم المعاشرة والروابط الاجتماعية والبيئية

فالتعصب صفة من صفات الانسانية لم يقو العلم ولا التربية على استئصال شأفتها من النفوس . وربما متنا ومات أبناؤنا واحفادنا قبل ان نصل إلى درجة ننسى فيها التعصب (أحد المتعصبين)

باب المناظرة والمراسلة

﴿ رد الشبهات على النسخ وكون السنة من الدين – لليافعي ﴾

٥

بقية بحث احاديث الاحاد وكونها من اصول الدين

قال في الاعتراض الثالث من هذه الكلمة فكأنهم يثبتون صحة الروايات، بعدالةالرجال ثم يثبتون عدالة الرجال بالروايات ممالايخفى على احد فساد ذلك – الى قوله – وربما ادّانا ذلك الى التسلسل أو الدور في البرهان

واقول ان هذه مغالطة من الفاضل ايضا اذ لا يلزم ذلك اللهم الا اذا كان المعدل والجارح لغيره هو المعدل لنفسه امّا اذا كان المعدل والجارح قد عرفت عدالته بالاجماع ونقل هذا الاجماع بالإجماع او بما يقاربه كالتواتر بل لو نقلت عدالته باسانيد أخر فلا فساد ولا يلزم شيء مما ذكر الفاضل

وقوله ان اكثر هذه الروايات مقتضبة الى آخره . فجوابه انهم (رح) يروون ما تلقوه على نحو ما يسمعون فما كان له سبب ذكروه وهو كثير انما قد يترك بعضهم ذلك لسبب ومناسبة حيث لم ير لذلك ضرورة .ولذلك تراه في موضع آخر يذكر السبب والمناسبة وقلّ ان يهملوا ذلك . وامّا ما كان يلقيه عليهم (ص) بما يشبه التعليم والتشريع العام فلا يلزم ان يطلب له سبب وا كثر الاحاديث وآيات الاحكام كذلك فلا محذور

أما قوله وقد ايدنا فيه الاستاذ الكبير العلامة المحقق صاحب المنار الاغر فنقول فيه ان كان يعني ما كتبه شيخ الاسلام المذكور على اثر ما كتبه اخونا العلامة خاتمة المحققين رفيق بك العظم حفظهما الله . فنحن قدرأينا ذلك ولم نر فيه تأييدا لحضرة

الدكتور الفاضل وغايته ان يكون رجح ان ما كتبه المجيبون لم يدفع الشبهة تماما على ان حضرة العلامة المحقق رفيق بك المظم حفظه الله انما ذكر تاريخ الكتابة عند العرب و بين بعض حالاتها في الاسلام وذلك في خطبة ألقاها والخطب لا تحتمل الاستقصاء في الاستدلال او ان يغاص فيها وراء عويصات المسائل .

وتقول أيضا قدعرفت مما كتبناه سابقا وماقدمناه حال الصحابة (رض) في الرواية عن رسول الله (ص) وانهم كيف يروون عنه(ص) وعرفت انه كيف كان يبين لهم وعرفت ان حفظهم لما روينا عنهم ليس بالمستبعدوأن المكثرين منهم وغير المكثرين قد كتبوا في حياته أو استكتبوا وهم لم يزالوا يكتبون بعد وفاته ما فات بعضهم عن البعض الآخر . والفاضل الدكتور هو ان قدر ان يثبت كراهية بعضهم فهولا يستطيع يبين علة منصوصة لذلك غير ما ذكرناها عنهم في رسالتنا السابقة . وقلنا ان من كره ذلك فانما كره ان يكتب رأيه اما احاديث النبي(ص) فقد كتبها كثيرمنهم بمرأى ومسمع منه (ص) ومنهم (رض) فلم ينكر (ص) ذلك ولا هم انكروا ذلك . ولم يتلف بعضهم ما عند البعض الآخر بالاحراق وغايته ان بعضهم اتلف مكتوبات نفسه ورأيه وهذا بخلاف فعلهم بالقرآن الذي كان عند بعضهم غير ما اجمعوا عليه . و بذلك يظهر ظهورا لاغبار عليه ان كتابة الحديث لم تكن في معتقدهم مكروهة مطلقا وحاشاهم من ذلك — فقد كان الخلفاء الاربعة (رض) وغيرهم من كبار الصحابة (رض) اذا وقعت واقعة ووجدوا فيها حديثا عن رسول الله (ص) لا يعدلون به سواه بل يحكمون بمقتضاه ويحفظونه ويكتبونه في رسائلهم الى عمالهم فكتابة الحديث بالصفة التي ذكرناها كانت من علمهم ومما أجمعوا عليه فعلا وتقديرا

وغاية ما يثبت عن بعضهم انه كره كتابته في كتاب واحد لا يرجع الى سواه ويكون مرتبا كما كتب القرآن يعمل به الناس ويتركوا ما لم يكن فيه — على انهم قد عزموا على ذلك وكان ميل أكثرهم الى الفعل ومن كره ذلك فانما كرهه رجوعا بعد الموافقة على الكتابة ومع ذلك هو لم يكرهها ويتركها لأجل ان الحديث شريعة موقتة ولم يستدل على الترك بما يدل على انه فهم ان الأحاديث شرعية موقتة كما بينا ذلك في رسالتنا السابقة — وهم قدصرحوا بانهم لم يتركوا كتابةالحديث بالصفة

المذكورة الا خوف الالتباس بالمصحف و بعضهم لم يقل الاجردوا القرآن

فالاصل الذي بنى عليه الفاضل الدكتور مذهبه انما هو احتمال من عنده وظن توهمه لم يسبقه الى تخيله أحد من اتباع محمد (ص) بل قولهم وعملهم وأمرهم يناقضه مناقضة النقيض لنقيضه وما هذا حاله لا يصح فرضه ـ على انه لو لم يوجد عنهم ما يناقضه فلا يصح ان يجعل مثل ماهذا حاله أصلاً لمخالفته نصوص القرآن ـ بل لو لم يوجد في القرآن ما يناقضه فلا يصح كذلك لمخالفته ما يوجبه العقل للرسل صلوات الله وسلامه عليهم ـ ولو تغاضينا عن ذلك كله فغايته ان يكون احتمالا من جملة احتمالات قاله غير معصوم خالف اجماع المسلمين والله جل شأنه قد ذم من يتبع غير سبيلهم وتهدده ـ فما رأيك باحتمال هذا حاله كيف يعول عليه أم كيف يسوغ للمنصفين الاعتماد عليه والمفاضلة دونه وهو على كل تقدير ومهما فرض فاسد مدفوع . فهذا بعض ماتقوله في شبهة الفاضل في عدم كتابة الحديث وقد ذكرنا بعض أدلته في رسالتنا السابقة والمقام جدير بالاطالة ولكن فيما ذكرناه كفاية لمن يريد الله له الهداية

اما من بعد الصحابة من رجال الأسانيد والأئمة المحدثين الذين رووا عن الصحابة (رض) وروى عنهم من بعدهم من الائمة كذلك فهم الذين كتبوا الأحاديث واجمعوا على كتابتها وكانوا كلهم رحمهم الله يكتبون وكان المحدثون (رح) يكتبون كل مروياتهم عن الشيخ حين الدرس يكتب ذلك الطلبة كلهم ويقابلون ويصححون على الشيخ أو من كتابه كل ذلك يكون بغاية الاحتياط مع كال الفحص والتنقيب عن كل راو وعن كل ما يحدث به

فان قيل اذا كان الامر كذلك لم لم تكن جميع الاحاديث بنقل الجموع والتواتر ـ قلنا ان الاحاديث الصحاح هي هكذا في نفس الامر ودليله تلقيهم ذلك بالقبول ـ وسبب كونها آحادا انما هو لان أهل الكتب المعتبرة لا يثبتون الا ما يرويه الاثبات الضابطون ومن سواهم لا يروون عنه لئلا يغتر به من لم يعرف حاله تقليدا لمن روى عنه ـ ولانهم يختارون الاختصار فلذا وذاك كانوا يختارون في مصنفاتهم الأمثل من الاسانيد ويتركون ما سواه ـ ونحن قد قلنا انهم لو اختاروا طريقة

التواترية لكان كل حديث أو أكثر الاحاديث متواترة في أكثر الطبقات فليتأمل الناظر . وان أراد مصداق ما ذكرنا فليفرض أي حديث مما اتفقوا على صحته ثم ليتتبع طرقه في كتبهم فلا نشك انه حينئذ يوافقنا على ما قلناه — على انه ان وجد في اثناء سنده تفرد راو فذلك الراوي لا بد وان يكون ممن أجمع على حفظه واعتباره وكاله وضبطه بالكتابة ورب رجل يعدل رجالا فتفكر

قال حضرة الفاضل في الكلمة الخامسة ما مؤداه ان المسلمين خالفوا القرآن بايجابهم العمل بالاحاديث الى آخره — واستدل ببعض آيات في ذم الظن الذي أجبنا عنها في رسالتنا السابقة وزيادة على ذلك نقول قد قدمنا في هذه الجملة المختصرة الادلة القطعية على ان أخبار الآحاد ليست مما تفيد الظن فقط بل هي تفيد اليقين أيضا — فلا بد للفاضل ان ينقض ذلك أولا بأدلة أصح مما سقناها — ثم لا بد له من أدلة جديدة تدل على ان جميع أحاديث الآحاد الثقات الضابطين الذين تنطبق عليهم شرائط أهل الحديث لا تفيد العلم ولو لبعض الناس — ثم لا بد له من دليل يدل على ان المراد بالظن في هذه الآيات ما يرى انه الظن الراجح — وبدون ذلك لا يصح ولا يتم له الاستدلال بهذه الآيات على رد العمل بالاحاديث — نحن لا نرى ان هذه الآيات مما تدل على ذم العمل بالاحاديث ومن أراد ذلك منها فقد حملها مالا تحمله — لان من تفكر في هذه الآيات وامعن النظر فيما اشتملت عليه مما سماه الله ظنا فيها يراه لا محالة انما هو مما يسميه الناس في زماننا هذا بالشك فالقرآن انما يذم ما يكون بمرتبة الشك بل بمرتبة الوهم والخرص فقوله تعالى « سيقول الذين اشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء » هو استدلال منهم بالمشيئة والقضاء والقدر الذي لم يعرفوا سره ولا ماهو ولا آمنوا به على رد وانكار دين الله وشرعه وعلى تكذيب رسوله (ص) فكأنهم يقولون ان كل ما فعلناه هو حسن ودين مقبول عند الله حتى الغصب والسرقة وقتل النفس التي حرم الله الى غير ذلك مما يقوله اخوانهم الجبرية اليوم فهل يصح هذا الاستدلال ؟ وهل هو ظن راجح ؟ وما المرجح ؟ وهل أخبار

الثقات الضابطين مثل ما ذمه الله عن المشركين في هذه الآيات ؟ وما لم تتحد العلة و يعلم انتفاء المانع لا يصح القياس

والفاضل حفظه الله كثيراً ما يستدل بهذه الآية ونحوها على رد وذم العمل بالاحاديث الصحاح في زعمه . وقد سبقه الى الاستدلال بها على ذلك الخوارج . واستدل بها بعض العلماء على رد القياس المساوي والاولوي و بعضهم على رد وجوب الاخذ بالعمومات القرآنية مطلقا أو الذي قد وقع فيها تخصيص أو احتمال وعلى رد الاخذ بالاستصحاب وعلى رد الاجتهاد بترجيح احد الاحتمالين الراجح . واستدلالهم على ذلك اظهر من استدلال الفاضل على ما نحن بصدده فليسلم بما هو اولى من استدلاله . فان سلم لزمه القول بان ما سوى المنصوص في القرآن ليس من الدين مطلقا ولا يجوز العمل به . وعليه فلا ندري ماذا يقول في الوقائع التي لم ينص عليها القرآن . انه مهما يريد ان يقول فيها فالحديث اولى من قوله ورأيه واقرب الى العلم واليقين منه . والا لزمه ان الدين ناقص غير كاف لفصل كل ما وقع

ونقول ان ما استدل به هؤلاء المشركون قد سماه الله ظنا وذمهم عليه . واذا كان الظن يطلق على الراجح من الاحتمالين وعلى المتردد بينهما على السواء وهو الشك وعلى ما هو دون ذلك كالوهم والحزر والخرص ونحوه فهو مشترك لفظي انما يدل على ما يراد منه بقرينة على الراجح ولما كانت هذه المعاني متفاوتة ومختلفة الحقائق فلا يصح ان يقاس هذا منها على ذاك الا اذا استكملت شروط القياس كاتحاد العلة وان لا يكون في المقيس او المقيس عليه وصف يصلح ان يناط به حكم غير الحكم الذي يراد ان يطرد فيها مع عدم المانع كذلك . ومن صحح النظر فيما ذمته هذه الآية يرى انه لا يصح قياس الاحاديث الصحيحة عليه بوجه من الوجوه مطلقا وكذلك العمومات والقياس والاستصحاب ونحوه كل ذلك لا تدل الآية على ذمه . وهذه لا تتعارض بل هي مرتبة واعلاها نص القرآن ثم نص الحديث وهذا الثاني مقدم على العموم مطلقا وقيل على العموم الذي قد تطرقه الاحتمال وليس شيء من هذه الاشياء من الظن المذموم حتى عند من يجعل كل ذلك من الظن

لان كل ما ذمه الله تعالى من الظن في غير هذه الآية من كتابه فانما هو شقيق لها

ذمه في هذه الآية ولئلا يدخل في ذلك الظن الراجح كالقياس وما ذكرناه بعده ونحو ذلك ايضا قوله تعالى « ان بعض الظن اثم » أي بعض الظن الذي هو بمثابة ظن المشركين غير المستند الى حجة ترجحه فهو اثم لانه من ظن ضعفاء العقول الذين ليس لديهم علم و بصيرة وانما هم يخرصون بالحزر والوهم الكاذب ومفهوم الآية ان البعض الآخر أي كالظن الراجح ونحوه ليس كذلك وحينئذ نقول إما ان يجعل الظن مراتب لا يتناول حكم احداها الاخرى وذلك مثل ما قلنا سابقا أو يجعل كالمتواطي في افراده وهذا مع ضعفه فالظن الراجح مستثنى كما عرفت ايضا ، وإما ان نجعل كل ما هو نظير ومثيل ما ذمهم عليه هو الظن وكل ما كان مدركه أقوى مما ذكره الله عن المشركين وذمهم عليه هو من العلم وعلى كل تقدير فاستدلال الفاضل الدكتور بهذه الآية ونحوها على ذم العمل بالاحاديث الصحاح فاسد فاذمه الله عن المشركين في واد والاحاديث في واد آخر . وبما ذكرناه تنحل عقدة الاشكال التي كثيرا ما تورد مثل هذه المسائل فتأمل ذلك واشكر الله على افضاله

قال اخونا الفاضل وقد اقر الاستاذ الفاضل الشيخ اليافعي بان الظن انما يذم اذا عارضنا به الامر القطعي . ثم رد علي بأني ومن على مذهبي كثيرا ما اعارض نصوص القرآن الشريف الصريحة واخالفها لاجل الاحاديث الآحاد . الى قوله واليك بعض الامثلة على ذلك .

وأقول في الجواب قد قدمنا الكلام على آية الوصية للوالدين والاقربين الوارثين . وهنا نقول للاخ المكرم حفظه الله ان تجويز معارضة نص القرآن بالحديث الصحيح لم يقل احد من المسلمين به فيما اعلم والحقير لا يقول به أيضا هذا فصل (الثاني) ان من جوز نسخ القرآن بالسنة متواترة كانت او مشهورة او آحادية لا يلزمه ان يقول بوقوع ذلك فعلا (الثالث) ان من يجوز نسخ القرآن بالحديث الصحيح هو لم يعارض به نص القرآن وانما اذا صح حديث عن رسول الله (ص) متأخر عن نزول آية ولم يمكن التوفيق بينهما فالمعارضة انما هي بين الحديث واستمرار الحكم أي بقائه او عمومه واطلاقه وقد اختلف في الاول كبار العلماء (رح) وقد قدمنا بعض الكلام على ذلك اما الثاني والثالث فقد قال بجوازه ووقوعه الجمهور لكن قال شيخنا

والآية ليست نصاً في تحليل ذلك بل لم يذكر فيها شيء من ذلك بخصوصه وكان سبب نزولها في زينة مخصوصة حرمها المشركون وهي ستر العورة فكانوا لايجيزون بل يحرمون سترها عند الطواف وكانوا يحرمون بعض الرزق الطيب فأمرالله عباده المؤمنين ان يأخذوا زينتهم عند كل مسجد وان يأكلوا ويشربوا من الطيبات من الرزق ونهاهم عن الاسراف في الامرين أي اللباس والاكل والشرب وورد على المشركين بأن قال لنبيه (ص) قل لهم أي أسئلهم من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق الآية فالآية لا يعارضها الحديث لما عرفت ان ماأحل لنا من ذلك هو مقيد بعدم الاسراف وأيضا قوله « من حرّم زينة الله التي أخرج لعباده » المراد بالزينة فيه الزينة التي أمرهم بأخذها عند كل مسجد وتلك معلومة لدى المخاطبين (رض) لم تكن هي ذهبا وفضة ولا حريرا ، على ان ماسوى الاكل والشرب في آنية النقدين من كل استعمال لما ذكره جائز للنساء وهن ممن يدخل في الخطاب وأيضا كل مايطلق عليه لفظ الزينة لايمكن الدكتور ان يجوزه لكل أحد بلا تقييد ولا نظنه يجوز للرجال لبس النساء ولا العكس مطلقا واذا كان الامر كذلك فكان الاولى به ان لا يعترض علينا بهذه الآية في الاحاديث لاسيما وقد عرفت ان آخر الآية انما هو مبني على ماذكره في أولها

ان من يعارض الاحاديث ويحلل كل مايطلق عليه لفظ الزينة بهذه الآية قوله أشبه شيء بقول من يجوز أكل وشرب وتناول واستعمال كل ماعلى الارض وكل مايخرج منها بقوله تعالى «هو الذي خلق لكم مافي الارض جميعا » الآية فكما ان هذا لايصح فتحليل استعمال كل زينة بكل صفة لايجوز مثله والآية لاتدل عليه

قال حرموا ان تنكح المرأة على عمتها وخالتها وخالفوا قوله تعالى « وأحل لكم ما وراء ذلكم » الى قوله بعد ان ذكر سائر المحرمات وليس من بينهن المرأة على عمتها أو خالتها . وأقول هذه الآية قد دندن حولها الخوارج وأطالوا بما لا طائل تحته وقد خالفوا اجماع من تقدم عليهم علما وفضلا وخالفوا نصوص رسول الله (ص) والنبي (ص) قد حذر منهم وذمهم وقال انهم يمرقون من الدين — استدلوا بعموم قوله تعالى « وأحل لكم ما وراء ذلكم » وهو غير مراد على اطلاقه لوجود نصوص

القرآن بتحريم محرمات لم تذكر في هذه الآية كالمشركة وزواج الأمة لمن يقدر على زواج الحرة والزانية والملاعنة والمطلقة ثلاثا حتى تنكح زوجا غيره ـ والعقد بالربيبة قبل ان يطلق أمها ويدخل بها على خلاف في ذلك بين العلماء ـ كما اختلفوا في المشار اليه في قوله « ما وراء ذلكم » وقد اختلفت طرق أهل العلم في الردعليهم .

ونحن إذا ناقشناهم الحساب قلنا لهم ان الله ذكر ما ذكر من المحرمات منبها بها على ما لم يذكره مما اتحدت فيه علة التحريم — وليس المراد الحصر بالعدّ ، ولا اقامته مقام الرسم والحد ، وبناء على ذلك نقول ان الله لم يذكر الجدات ولا بنات الاولاد ولا أم المرضعة ولا بنات الأخت والأخ من الرضاعة ولا سائر من يحرمن من الرضاعة فكما انه لم يصرح بذكر من ذكرناهن وهن محرمات غير داخلات في قوله «وأحلّ لكم ما وراء ذلكم» فكذلك تحريم ان تنكح المرأة على عمتها أو خالتها من كل امرأة لو فرضت ذكرا حرمت على الأخرى ـ لا يحل ان تنكح عليها ـ فقوله « وان تجمعوا بين الأختين » لا يأبى دخول الجمع بين أحدهما وبنت أختها وأخيها في المنع والنهي بل دخولها ظاهر لأهل العلم بالقرآن لاسيما وقد دل الحديث الصحيح أو المتواتر عند بعضهم على ذلك

ولو سلمنا بالمعارضة فهي ليست لنص الآية . وانما هي بين عمومها أو استمرار الحكم وتأبيده وهو ظني كما تقدم والحديث أقل حالاته ان يكون أرجح واذا وقعت المعارضة فالجمع بين الدليلين هو الواجب اذا أمكن والا لزم اهمال أحدهما بلا موجب وهو لا يجوز . هذا على قول من يقول ان الاحاديث الصحاح انما تفيد الظن اما على ما اعتمدناه من انها قد تفيدنا العلم فالامر واضح ظاهر ولا قباحة فيه

قال الفاضل حفظه الله أوجبوا القتل مطلقا على من ارتد عن الاسلام للحديث والقرآن يقول « لا اكراه في الدين» فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر » . وأقول قوله أوجبوا القتل مطلقا ليس بصحيح على اطلاقه ـ بل لو منع الامام عن قتل المرتد لمصلحة كهادنة ومعاهدة ومأمنة بشروط ألجئ اليها لا يجوز قتله فقتل المرتد قد يختلف حكمه باختلاف الحالات وهذا الاختلاف الذي قد يرى انه تسهيل في

بعض الاوقات والاحوال - انما يستفاد من الاحاديث والسنن لا من القرآن ومن تفكر فيما اشتمل عليه صلح الحديبية من الاحكام عرف ذلك فلنكتف بالاشارة اليه

أما ماذكره حضرة الفاضل فهو ليس في حكم المرتد وانما الآية الاولى في شأن الكفار من أهل الكتاب هل يجبرون على الاسلام أم لا وأما الآية الثانية فليس فيها تجويز الكفر لهم ولا حكم الاكراه لهم منابل هو مسكوت عنه كله انما هو في الكافر الاصلي فالأيراد ليس في محله .

ونحن نسأل حضرة الفاضل هل يقول باقامة الحدود والتعزيرات على فعل بعض الواجبات والفرائض الذي اجمع عليه المسلمون ودل عليه الكتاب والسنة كما قال « تعالى فإن تابوا واقاموا الصلاة وآتوا الزكوة فخلوا سبيلهم » الى غير ذلك مما يدل على ان المسلم يجبر على التدين والخضوع لاحكام الدين ؟ ام هو يقول بعدم جواز اقامة الحدود ونحوها ؟ فان قال بالاول وهو ظننا به فقد وافقنا ونقض اعتراضه بنفسه والا كان مخالفا وواقعا في أقبح مما ظن وزعم ان غيره واقع فيه

(لها بقية)

الانقلاب العثماني الميمون

﴿ ورأي صاحب جريدة وطن الهندية فيه وفي عبدالحميد خان ﴾

أرسل الينا صديقنا الغيور مولوي محمد انشاء الله صاحب جريدة «وطن» الهندية ما يأتي فننشره مع تصحيح قليل لبعض الالفاظ من جهة اللغة والنحو ونجيبه عنه وهو

حضرة الصديق الفاضل :

استلمت كتابكم الخصوصي مع العدد الرابع من مجلة المنار وشكرت فضلكم وقد وصلني في نفس ذلك البريد اعداد من جريدة اللواء ايضا خلاف المعهود وقد نشرة هذه الجريدة كتابي في أحد اعدادها وردّت عليه في العدد الآخر حسب ما رأت فاشكره على لطفه ايضا

وجنابكم تعلمون اني اظن حضرتكم محباً مخلصاً للاسلام والمسلمين فلذلك اكلفكم في بعض الاحيـان تكليفا ما — واطالع مقالاتكم وكل ما تسطرون في امر الاسلام والمسلمين بمزيد العناية والتبجيل بل واسعى في اشاعته جهد طاقتي وحسب استطاعتي ليستفيد العالم الاسلامي المندي من آرائكم الحكيمة — وكذلك لا اشك في كون حضرة علي فهمي كامل بك ايضا محباغيورا للملة والوطن—ولكن اعذروني ياسيدي بأني لا أرى بدا من ان أقول لكم كلمـة صادقة — وهي انني كنت دائما لا أرى رأيكم صحيحاً في امر السلطان المخلوع وان ما كتبتم في العدد الاخير من مجلة المنار فقد قرأته بكمال الاسف والحيرة — وليكن في علم حضرتكم اني لا اظن عبد الحميد ملكاً معصوماً — بل أرى فيه من حيث انسان من التقصيرات ومواقع الضعف البشري ما يجب ان يؤخذ عليها — ولا يخفى عليكم وعلى الذين طالعوا كتابنا تاريخ مشروع السكة الحجازية باني اول من كتب بالصراحة التامة في ذم عمال عبد الحميد وعدم كفايتهم حين لم تكن في استطاعـة أي جريدة من جرائد مصر وسوريا ان تكتب في هذا الباب بمثل تلك الصراحة—لاني كتبت ذلك في شهر يناير سنة ١٩٠٨ واظنكم غير ناسين ماجريات مشروع السكة الحجازية فانه لما شاع اقتراحي هذا اول مرة خالفه السلطان عبد الحميد اشد الخلاف وكتبت جريدته الرسمية «المعلومات» ان هذا المشروع يكون اشد ضرراً للدولة العلية ولكن يغفر الله للمشيرين المرحومين شاكر باشا وعثمان باشا غازي فانهما بعد أن تأثرا من مكتوباتي المتوالية ايدا المشروع حق تأييده وكانت نتيجته ما كان

ان حضرتكم وحضرة محرر جريدة اللواء تقولان ان مخلصكم هذا (محرر جريدة وطن) ومسلمي الهند لا يعلمون من الحالات الاصلية للدولة شيئا — فاقول بكل الادب ان قياسكما هذا ليس بصحيح فان سوء ادارة ولاية الحجاز والحالة السقيمة التي كانت لاحقة للجيش العثماني المرابط في الولايات البعيدة — والمظالم التي كانت تجلبها يد الجاسوسية على البلاد والعباد كانت حديث كل ناد من اندية القوم في الهند والسند وأفغانستان ولم يكن الفرق غير انا كنا خبيرين بذلك والعثمانيون هم واقعون تحت نيرهذا الاستبداد عملا يذوق بعضهم من طعمها المر ويتأوه من شدائد هذا المظالم

والاسلام – وتعلمون حضرتكم حق العلم ان مسلمي الهند لم يكونوا بوجه ما منعما عليهم من السلطان المخلوع ولا مرهونين بهمة من الامة التركية. ان الاتراك أو الخليفة لم تعط ولا درهما واحداً في اعانة مسلمي الهند حين ما ابتلوا ببلاء او انتابتهم نائبة مع ان مسلمي الهند لم يقصروا قط في مديد الاعانة للعثمانيين – حتى أن محرر جريدة وطن غير كونه مقترحا لمشروع السكة الحجازية والبغدادية جمع لها من اموال الاعانة زهاء مليون قرش وارسلها الى اللجنة العليا في الاستانة ولم تستطع جريدة من جرائد العالم الاسلامي ان ترسل مثل هذا المال لاعانة ذلك المشروع العظيم من الا كتتاب العام وكذلك ارسلت في اعانة منكوبي جزيرة اقريطش آلافا من الروبيات – احتسابا وخالصا لوجه الله – ما اردت أن أمن بها على احد ولما تشفع لي دولتلو ذهني باشا في حضرة السلطان بعطاء امتياز (؟) منذ سنتين وصدرت الارادة باعطائي الوسام العثماني من الدرجة الرابعة كتبت الى حضرة الباشا المشار اليه انني لم ار من المناسب أن ارد عطاءكم مع انني لا احسبه شيئاً بمقابلة الاجر الذي يحصل لي من الله الكريم لان تلك الصلة الدنيوية لا يمكن أن تفيدني فائدة ما. ولا يفوتكم ان هذا الامتياز لم يكن ليعتد به لان الذين زاروا الأستانة العلية من الاجانب من أي صنف وطبقة كانوا تحصلوا على امتيازات اجل وافضل من ذلك الامتياز وغير ذلك فاني لم ا كن اخدم هذا المشروع رغبة في صلة»

يظنون بان السلطان عبد الحميد هو الباني والمحرك لفكرة اتحاد الاسلام ولكني أعلم حق العلم انه لم يسع قط لاشاعة هذه الفكرة في مسلمي الهند ولا احد من اعوانه ولو كان كذلك لكان لابد ان ا كون اول من يعلم به وكيف كان من الممكن السعي في نشر افكار اتحاد الاسلام بين مسلمي الهند حينما لم يكن قنصل الدولة العلية في ثغر بمبي عالما باسماء الجرائد الاسلامية التي كانت مشغولة في جمع الاعانات للسكة الحجازية ايضا – واني اعلم وا كثر مسلمي الهند مثلي في العلم بان الوسائل الاصلية لترقية المملكة العثمانية لم توجد في عهد عبد الحميد الى حد يجب ان نفتخر به حتى قلت بنفسي في تأليفي كتاب «تاريخ خاندان عثمانية» الصادر في سنة ١٨٩٧ ما مفهومه «لعلي ارى بجنب الجامع الحميدي وحميدية خسته خانه وامثال ذلك من المشروعات

ترعة او سكة حديدية ايضا يفتخر بها العصر الحميدي الى الابد» ولعلكم تتعجبون من سماع هذا الامر ان جريدتي « وطن » كانت ممنوعة الدخول في الاستانة و بعض الممالك المحروسة كجريدة « وطن» المصرية وان كانت جريدتي لا يكون فيها غير مدح عبد الحميد وتأييد الخلافة العثمانية شيئا — بل هي مخصوصة لذلك الامر

ولكن مع ذلك كله اعتقد انا وجميع مسلمي الهند بوثوق تام ان تركيا الفتاة أو الامة العثمانية قد ارتكبت خطأ جسيما في عزل عبد الحميد بل كفرت نعمة الله تعالى وقد علمتم من صاحبزاده عبد القيوم عظيم الافغان ان الصدمة التي احس بها مسلمو أفغانستان والهند من عزل عبد الحميد كيف كانت شديدة عليهم وكل يوم يرد علي من الكتب من اقطار الهند مالا أستطيع نشره في الجريدة وفيها مافيها من اظهار التألم والتأثر في النفس ـ وأخاف لو نشرت افكار المنار واللواء في جريدتي أن تأتي غالبا بما هو عكس المقصود ـ واسمحوا لي ان اقول لكم بكل الاسف ان ماكتبتم حضرتكم تعليقا على مقالتي أو في مكان آخر من مجلتكم هو خارج عن حد الاعتدال يشف عن ميلكم الى الاتحاديين ولذلك ترمونني وجميع مسلمي الهند بالجهل بأحوال الدولة العلية ـ ان حضرتكم أو حزب تركيا الفتاة أو الرجعيين من العثمانيين الذين يرومون عود عصر الاستبداد ـ كلكم من المناظرين او فريق من المتخاصمين لا تستطيعون ان تبدوا او تقيموا رأيا صحيحا واما نحن معاشر المسلمين في الهند ففي وسعنا ان نقيم الرأي الصحيح لاننا لسنا من فريق ولا واسطة لنا بهم غير الاخوة الاسلامية والتعلق الادبي الذي هو روح الاسلام — وانكم مثل الجندي الذي يكافح و يناطح الاعداء في ميدان اقتتال لا يرى غير ما يكون حواليه ولا يكون همه الاقتل مبارزيه ونحن كالمتفرجين من بعيد نرى كل ما يجري بين الفريقين المتحاربين ـ وانكم من الذين آذاهم العصر الحميدي حتى اضطروا لترك الاهل والوطن فلابد انكم تسرون بزوال السبب الذي جر عليكم هذه البلاد وان يكن هو السبب البعيد والقريب غيره والا فلم يكن يليق بحضرتكم ان تصوبوا سهام آيات الانذار من القرآن الكريم الى عبد الحميد الذي لم يبق له (شيء من) الحول ولا الطول وهو الآن تحت مرحمة أعدائه الذين لا تشفى غلهم الا بشرب دمه

ان مافعلوا بعبدالحميد هو ليس غير عزله من سرير السلطنة ولكن ترون مئات من الملوك والخلفاء والقواد العظام الذين دالت دولتهم قد صار مصيرهم اسوء من عبدالحميد : ايش مضى على نابوليون ؟وما جرى على مدحت باشا ؟ قد قتل السلطان عبدالعزيز وعزل السلطان مراد ــ بل الفاروق (رض)وذو النورين(رض)والامام علي (رض) كلهم فازوا بالشهادة ان لم ينزلوا من دست الخلافة وأراد القاتل اغتيال معاوية (رض) وقتل الحسين (رض) مع رفقائه رضوان الله عليهم في اشد المصيبة ولقد نجد التاريخ مملوءاً من أمثال هذه الحوادث الجسام فمالنا ان نخص مفهوم الآيات القرآنية بعبد الحميد وحده بل يجب علينا ان نحترز من مثل ذلك الخطاء

واعلموا ان ظنكم وظن جريدة اللواء بان الانكليز في الهنـد يسعون في إلقاء بذور الشقاق بين مسلمي تلك الاقطار والعثمانيين للقضاء على الاتحاد الاسـلامي والخلافة فأقول لكم بكل الاحـترام ان ظنكم هذا ليس في محله بل أسأتم حيث ظننتم هذا لأن الأمة الانكليزية أمة حرّة عادلةٌ عاقلةٌ لا تتداخل أبداً في مثل تلك الأمور. ان مسلمي الهند كانوا يجلون عبد الحميد لكونه سلطان المملكة العثمانية وأحبوه لأنه في رأيهم كان حافظ هذه السلطنة من المخاطرات الجسيمة لا غير فكان تبجيلهم له ومحبتهم منه لأجل خدماته الجليلةالتي خدم بهـا السلطنة والخلافة الاسـلامية ــ وان كان عطل الحكومة الدستورية السابقة فلأنه يحسبها مضرة أشد الضرر في حق الدوله والملة

ان المسلمين الهنديين يعلمون بانه ليس من أحد في هذه الدنيا غيرفان و باقيا غيرالله الواحدالقهار : ان الحجزعلى بسمارك ما صارسببالخراب ألمانيا وعزل عمربن الخطاب خالدا (رض) عن القيادة العامة لجند المجاهدين لئلايحسبه المسلمون سببالفتوحات ويتركوا الاتكال على الله تعالى وعلى شجاعتهم وقد هلك آلاف من الصحابة الكرام بطاعون عمواس وفازوا بالشهادة في ميدان القتال ومع ذلك لم تقطع سلسلة الفتح الاسلامي كذالك عبد الحميـد أيضا لم يكن ليعمر الى الأبد ان كان يموت فكان لا بد من مشي الأمور كما كانت تمشي قبل أيامه وفي عصره ولكن مع كل هـذه المسلمات لم تتصور نحن معاشر المسلمين الهنديين عزله طاعة كبرى للدولة ؟ لأن في

آرائنا أن الدولة العلية فقدت بهذا الامر إحدى يديها وعينيها وصارت ذات يد واحدة وعين واحد فقط بعد ان كانت ذات يدين وعينين

نحن نقول ان عبد الحميد لما أخذ كل أمور المملكة في قبضة يده قد أحسن نظرا الى الحالة الطارئة على البلاد في تلك الايام لانه لو كان القوم كلهم أو جزء قوي من أجزائهم يرى مثل رأي مدحت باشا لكان من المحال سقوط ذالك الرجل المصلح . ولا يذهب من خاطركم ما فعله القواد العثمانيون العظام في حرب الروسية الاخيرة من أخذ الرشوة وكيف كان حال العمال في ذالك العهد فكان كل تبعة الجور والاستبداد على الوزراء والولاة

هذا هو حلمي باشا الصدر الاعظم الحالي لما كان واليا في اليمن أي شيء فعل في تلك البلاد التعسة ؟ لذالك رأى السلطان عبد الحميد ان العافية في ان يأخذ كل أمور المملكة في يده ويقبض عليها بيد من حديد ومن الظاهر ان ترقية القوم الذين قد خيم الادبار بجرانهم لا يكون ممكنا الا بالحكم المطلق

كان حكم النبي صلى الله عليه وآله وسلم مطلقا وكان حكم الصديق (رض) والفاروق (رض) أيضا كذالك

لا ننكر ان اجتماع الاختيارات في يد رجل واحد أعني عبد الحميد قد صار في آخر الامر موجبا للخراب أيضا لان الرجل الواحد لا يستطيع أبدا ان يحكم على بلاد واسعة الارجاء مترامية الاطراف وقد اندكت قواه بكثرة الأشغال فظهر عليه ضعف الكهولة والشيخوخة حتى صارت أ كثر الامور في يد رجال المابين وهم يبرمون كما يشاؤن ولكن نية عبد الحميد لم تكن سيئة قط لذالك لما رأى ان جزءا كبيرا من القوم صار أهلا للحكم الدستوري اعاده عليه وأعطاه حقه والظاهر ان هيئة الادارة التي تشكلت في سنة ١٩٠٨ هي من أحسن ما يكون

ولا يسعكم إنكار ان المتعلمين المتنورين الآن في بلاد العثمانية قليلون جدا والجزء الاعظم من تركية آسيا مملوء من المسلمين الذين يميلون الى بقاء القديم على قدمه أ كثر من الذين يرون الدستور حياة البلاد ومخلص العباد من شرك الظلم والفساد ومحبو القديم هم يقدرون اقتدار جلالة السلطان حق قدره ولا يبغون ان يكون السلطان مسلوب الاختيار

فان بقاء السلطان عبد الحميد على سرير الملك وقيام مجلس المبعوثان على العمل باصلاح الحكومة والبلاد هما الامران اللذان كانا يبعثان الطمأنينة في نفوس الفريقين وبهذه الطريقة كان من الممكن ان يأخذ الدستور مجراه الطبيعي على سبيل التدريج والترقي ولا تقع السلطنة في اخطار الحرب الاهلية والفتن الداخلية ومن الجانب الآخر لا يكون بوسع الاعداء الخارجية ان يتلاعبوا مع الدولة العلية لخوفهم من سياسة عبد الحميد ودهائه المشهور والمعلوم ولكن الانقلاب الأخير (المشؤوم) قد فتح الدور الجديد قبل أوانه وزلزلت أركان حالة البلاد زلزالا شديدا

ان محمود شوكت باشا قد يستطيع ان يعدم كل جهال الاستانة وصوفتائها ولكنه لا يستطيع أبدا ان يمحو من الوجود الملايين من المسلمين القاطنين في بلاد العراق وكردستان وجزيرة العرب والاناضول وغيرها الذين هم من محبي الحالة القديمة والحكم المطلق لا شك في أنهم ساكتون وصامتون الآن وسيسكتون الى بقاء الادارة العرفية والسيادة العسكرية ولكن متى وجدوا انفراجا من هذا الضغط ولو قليلا فلا بد من انفجار المادة المشتعلة الكامنة الآن تحت هذا الضغط الشديد (لا قدر الله)

انكم تقولون ان الخليفة والسلطان هو موجود وجالس على عرش السلطنة ولكن حجتكم هذه غير نافعة لان جلالة السلطان محمد الخامس هو كآلة صماء في يد فريق ليس له وجاهة خصوصية وقوة ذاتية . ونقول بعبارة أخرى ان يدا وعينا واحدة من يدي وعيني الدولة تعملان الآن واليد والعين الاخريين معطلتان بل تريد اليد العاملة والعين المستعملة في ذلك الوقت قطع اليد الأخرى وقلع العين الثانية من جسم الدولة وصلاح الدولة منوط باتحادها في العمل اعني كان من الواجب ان يكون الفريقان من انصار عهد القديم والدور الجديد متحدين في ترقية شأن الدولة وصلاح المملكة مثل اليدين والعينين ويكون الصدر أو الرأس عبد الحميد فيعملان حسب إشارته وينجحان في أعمالها

انكم تقولون ان الحركة الجديدة في الدولة العثمانية هي عين التوحيد والاسلام ولكن التاريخ يقضي بخلاف ذلك . ان الفتيان من الاتراك (تركيا الفتاة) يتبعون

أثر اقدام فرنسا التي اسقطت الملك أولا والعلماء الروحانيين ثانيا وقطعت علاقة العبد بالله تعالى أخيرا فصاروا بذلك من الماديين الدهريين . ان صبغة تعاليم الاسلام لتجدون في انكلترا البتة (كذا) ولعل تركيا الفتاة ان لم يكن بوسعها ان تقلد الخلفاء الراشدين فكان اللازم عليها قراءة تاريخ انكلترا . لاريب انه قبل قرون من هذا العهد قد فعل كرامول في انكلترا كما فعل شوكت الآن في الاستانة ولكن ايش صارت نتيجة ذلك الفعل القبيح غير اراقة الدماء اعواما متوالية وأخيرا قد حلت الملكية محلها وثبت ان محوها محال

تقولون ان عبد الحميد كان منبع جميع الشرور والمظالم ولكن ما تقولون في أمر تركيا الفتاة والمشير شوكت باشا فانهم أنفسهم من الذين رباهم العهد الحميدي الزاهر هل تسبونه على تهيئة مثل تلك النابتة النابغة ؟

نقلتم أقوالا للغازي مختار باشا في ذم عبد الحميد وكأنكم ليس لكم علمٌ بان عبد الحميد كان واقفا من مدة على سوء نية الرجل واميالِه العدائية نحوه ولكن لم يتعرض قط لشأنه بل كان ينعم عليه ويكرمه كما كان يسعى في جلب الفتيان الثائرين عليه من أوربا بالشفقة الابوية والعفو السلطاني أليس هذا سماحا وكرما لا يوجد له نظير الآن

ان جمعية الاتحاد والقائد شوكت باشا يستطيع ان يأسر عبد الحميد ورجال الدور السابق ويعدم من يشاء من معانديه ، أفلم يكن يستطيع عبد الحميد ان يذلل المختار في زمان اقتداره؟ ولكن التاريخ يشهدله بأجلى بيان انه لم ينتقم من أحد لنفسه قط بل كان يشدد ويلقي القبض على الذين يعدهم أعداء الدولة والملة . ان مراد بك وغيرهم من رفقائه يساقون الآن الى السجن المؤبد أو المشانق ومن الذي لا يعلم انهم كانوا من أشد أعداء عبد الحميد فعفا عنهم وطلبهم الى الاستانة وأنعم عليهم - وعلى كل حال إن المسلمين الهنديين متألمون ومتأسفون جدا من جراء هذا الانقلاب لظنهم انه يضر بالدولة والملة العثمانية ضرراً بليغا ولكنهم اذا وجدوه مفيدا بحقها وثبت لهم ذلك من كر الليالي والايام فلا بد من أن ينعم به بالهم وتقر به أعينهم ويقولون « الخير فيما وقع » وإلا فقد اقتفى العالم الخارجي كله بأن « لا خير فيما وقع »

انكم تنسبون تألم المسلمين الهنديين الى دسائس الاجانب . وأكثر العقلاء يرون ان تركيا الفتاة مغرورة من جهة الاغيار في ارتكاب ذلك الخطإ الجسيم

ان عبد الحميد لم يكن قط بانيا لتحريك اتحاد الاسلام ولكن قد وجدت هذه بالحركة في عصره بين المسلمين بناموس الارتقاء البشري وأيقنت أورباً مثل يقينه بعدم تناهي كنوز يلدز وان الثلاثمائة مليون من المسلمين كلهم في قبضة عبد الحميد وكان ذلك اليقين كفلن ثروة عبد الحميدية الغير متناهية (بزعمها) مباركاً في حق الدولة والاسف كل الاسف على ضياع هذه الاعتقاد بعزل عبد الحميد وتحريات ثروته !!!

ان اتهام عبد الحميد بالجبن كالبصق على السماء ينزل على وجه الرجل نفسه لقد قال له الوزراء حين قدوم جنود الروسية في سان استفانوس ان يهرب الى بروصه لكنه لم يتزعزع من مكانه ولم يرض بترك دار الخلافة وللمطلب الروس الاسطول قال عبد الحميد انني أركب في السفائن وأدمرهم بيدي وأغرق معها ولكن لاأقبل ان أسلمها للعدو أبدا؟هل يمكن طمس الحقيقة التاريخية التي تظهر بذكر ثبات عبد الحميد وقوة جاشه عند وقوع الزلزلة في القصر وفرقعة الديناميت على بضعة أقدام من مركبته حيث لم يكترث ذلك الطود العظيم بهذه الحوادث ابداً !!! وأكبر من ذلك ان يتهمه فاضل مثلكم بعقر الخمور (استغفر الله) لأن وجود الخمر في قصره من لوازم ضيافات الاوربا ويين الذين كثيرا ما كانوا يدعون كل يوم على مائدته ولاجل ذلك لم يكن يشترك عبد الحميد قط في الطعام معهم وتقول جريدة اللواء «ان انصار العهد القديم والرجعين يمدون الجرائد الخارجية بالمال ويأخذونها وسيلة لنشر افكارهم » ـ يمكن ان يكون في مصر جريدة مثل مقالته ـ ولكن لا يوجد في الهند عثماني واحد يحض جرائدها ببذل المال على تنقيص تركيا الفتاة والحكومة الدستورية — ومع ذلك فرصيفتنا اللواء تقول كذلك وتظهر خطأها القيامي كالواقعة الحقيقية فيمكن لنا ان نستدل بقية بياناتها بأنها قياسات لا أصل لها ـ

ان جريدة المقطم وغيرها من الجرائد التركية لقد تجاوزن حد الآداب في ذم عبد الحميد ولم تكن تفعل واحدة منهم هكذا في عصره ـ ومن العجب ان أكثر جرائد العرب والشام وغيرها ينقلون مقالات المقطم في أنهر صحفهن ـ وهن يعلمن

ان آراء هذه الجريدة كانت دائما مخالفة للحقوق التركية والمصرية في معاملة مصر ـ وفرحها وسرورها بعزل عبد الحميد يكشف الغطاء عن نيتها ويظهر لنا جلياً انها ترى هذا العزل حسب مرادها ـ

ان كان عبد الحميد ليس له عون ولا نصير فلم يعدمون الآلات المؤلفة من النفوس في الاستانة وسائر الجهات ؟ لاشك في انه فضل حقن الدماء ولم يرض ان يكون مثل شاه العجم . انه كان محباً للملة وخادماً مخلصاً للوطن لاطالب الجاه ـ وكان يحب الحياة لكن لاللتنعم والالتذاذ بنعمات الدنيا الفانية بل لخدمة الوطن والملة وظنه ن حياته رحمة الهية لصالح العباد والبلاد ـ

ان خير ما كتب في ذلك الشأن هو قول رصيفتنا اللواء «ان عزل عبد الحميد عن عرش الخلافة ليس قتله بل احياءه لانه خلص من متاعب الحكومة» ولكن أقول ان عزله وان يكن في حقه احياء فلا يكون في حق الدولة الاموتاً ونكالاً ـ لايوجد رجل في جميع المملكة محنكاً مثله بل وأقل منه أيضاً في السياسة الخارجية لذلك أرى من الواجب على الامة ان تكرم مقامه وتستشيره في الامور المتعلقة بالسياسة الخارجية ويكون العمل منوطاً بالا كثرية لاعلى اشارته

ولقد طال المقال رغم ارادتي الاختصار لذلك اختم رسالتي بتقديمي فائق الاحترام لحضرتكم وأرجو منكم نشرها كما ترون مناسبا والرد عليها سالكين مسلك الانصاف والحق وترك المجادلة بالباطل والسلام

وقد ارسلت نقولا من ذلك الى بعض جرائد أخرى أيضا عسى ان يتكرموا بنشره

في ١٢ يونيوسنة ٩٠٩ كاتبه المخلص محمد انشاء الله

محرر ومدير جريدة « وطن »

لاهور (بنجاب) الهند

﴿ جواب المنار ﴾

مقدمات ومسائل حول المقصد

(١) كان لنا ان لاننشر رسالة صديقنا هذه لانا لم ينشر مقالتنا في الرد على رسالته

الأولى لأن الفائدة في نشر أمثال هذه المناظرات في الصحف هي بيان جميع ما يجب بيانه لقرائها في المسائل المتناظر فيها لاجل ان يكون حكم أولئك القراء صحيحا لبنائه على العلم بالمقدمات التي يبنى عليها الحكم . ولكن صديقنا خشي من نشر ردنا عليه أن يأتي بضد ما يراد منه كما قال فكأن قراء جريدته لا يرضون منها الا ان تكتب لهم ما يوافق ميلهم وهو يوافقهم على ذلك وهي خطة فيها من النقد ما لا محل لشرحه هنا. أما نحن فاننا ننشر ماهو مخالف لرأينا ولمشرب جمهور قراء المنار لأ نه ان كان حقا قبلناه، وان كان باطلا دحضناه ، وفي اعتقادنا ان الحق يدمغ الباطل فاذا هو زاهق

(٢) لا نسلم لرصيفنا وصديقنا المناظر لنا ما يدعيه من أن رأيه في عبد الحميد والدولة هو رأي جميع مسلمي الهند فانه يتعذر عليه ان يعرف آراء أولئك الملايين وهو لا يعرف أ كثرهم ولا هم يعرفونه وانما قصارى ما يمكن ان يظن هو أن جمهور قراء جريدته موافقون له في رأيه وميله وما هم الا عدد قليل في أولئك الملايين. وقد اعتاد مثل هذه الدعوى بعض الجرائد المصرية وما زلنا ننكرها عليها . واننا نرى بعض جرائد اخواننا مسلمي الهند تنشر من الرأي ضد ما ينشر صاحب « وطن » بل ترد عليه فيما يكتبه كجريدة «وكيل» التي تصدر في (أمرتسر) وبلغنا عن مسلمي عليكده انهم مسرورون راضون عن هذا الانقلاب العثماني وناهيك بمن هنا لك ، انهم أنور مسلمي الهند عقولا وأرجاهم لخدمة العلم والملة

(٣) ان صديقنا المناظر احتج برأي عبد القيوم عظيم الافغان وان هذا الرجل العاقل المنصف لم يفارقنا الا وهو مقتنع بأن تشاؤم الكثيرين من مسلمي الهند والافغان وخوفهم من عاقبة هذا الانقلاب انما سببه الجهل بالحقائق وان لبعض الجرائد تأثيرا تأثيرا سيئا في ذلك وانه يجب السعي في إزالة هذا الجهل حتى انه اقترح إرسال وفد تركي يجوب البلاد الهندية والافغانية لإزالة سوء الفهم والجهل بالحقيقة . وقد كان هذا من المعقول في أول العهد بالانقلاب أما وقد طال العهد ونشرت الحقائق في الجرائد فقد رأينا المنصفين من اخواننا مسلمي الهند مقتنعين بما ظهر لهم من الحق ولذلك كان إصرار صديقنا صاحب جريدة « وطن » على ما كان عليه غريبا عندنا يصعب تأويله

(٤) قرأنا رسالته هذه قبل نشرها على بعض أهل الرأي والاستقلال من مسلمين وغير مسلمين فعجبوا واستغربوا وقالوا ماذكره مع إنكاره على إطلاقه و إجلال صديقنا وتبرئته من سوء النية : انه لا يعقل ان تكون هذه كتابة عارف مخلص... وليس في هؤلاء من هو من جمعية الاتحاد والترقي ولا من المتنصرين لها بل هم ممن يعرفون لها و ينكرون عليها .

حقا انه يصعب على العقل المجرد من الهوى ان يتصور ان إنسانا يعرف حقيقة حال الدولة العثمانية وحقيقة مافعله عبد الحميد من الافاعيل الضارة بها و بالامة ثم يكتب كلمة في مدحه والدفاع عنه و يكون مخلصا محبا المصلحة العامة ولذلك بنينا ردنا السابق على قاعدة جهل جرائد مسلمي الهند بمفاسد عبد الحميد ومضار حكمه اذ لا وجه يتضح لاتهامهم بسوء النية وعدم الإخلاص . ولكن صديقنا ومناظرنا ينكر ذلك في رسالته هذه و يدعي انه هو وغيره من مسلمي الهند واقفون على جميع سيئات الحكم الحميدي وانهم اعلم بها وأقدر على الحكم فيها من العثمانيين الذين ذاقوها وتقلبوا فيها . ويبني دفاعه عن عبد الحميد ومدحه له على ادعاء حسنات له لا دليل عليها ولا يستطيع ان يزيد فيها على الدعاوي والمدائح الشعرية كما بينا ذلك في ردنا الاول عليه وزاده بيانا صديقنا رفيق بك العظم في مقالته التي نشرناها في الجزء الماضي ونزيده نحن بيانا في هذا الجزء

(٥) ان كتابة صديقنا لهذه الرسالة بعد اطلاعه على ماطلع عليه من كلامنا وكلام غيرنا في الانقلاب لم نجد لها من تأويل مع مانظن من اخلاصه الان جريانه على مدح عبد الحميد سنين طويلة جعل حسن اعتقاده فيه أمرا وجدانيا كدين العجائز لا يقبل بحثا ولا استدلالا يخالفه أرجو منه العفو والسماح عن ابداء رأيي هذا فاننا لم نر وجها آخر نفهم معنى إصراره وتناقضه وتهافته فيما يكتبه أولا وآخرا

(٦) إننا لا نعتقد صدق مايظنه بعض الناس هنا من ان الانكليز هم الذين أحدثوا في الهند فكرة سوء الظن بالدولة العثمانية في طورها الدستوري وان كنا نعتقد انهم يحبون ان تنتشر هذه الفكرة ليضعف تعلق المسلمين الديني بهذه الدولة وأن كل من يبطل ثقة المسلمين بالدولة العلية في البلاد التي للانكليز فيها نفوذ يكون خادما لهم في الواقع ونفس الامر وان لم يكافئوه ذلك ويغروه به

(٧) اننا لا نعتقد أيضا ان السلطان عبد الحميد هو الذي سعى في بث نفوذ الدولة الديني في مسلمي الاقطار أو في دعوتهم الى التآخي والاتحاد مع سائر المسلمين . هو أقل وأصغر من ذلك فمثله لا يسعى في عمل كبير كهذا . وانني موافق لصديقي المناظر في كون هذه الفكرة المنبثة في المسلمين من روح التعارف والوحدة المعنوية ليست الا أثرا من آثار سنة الترقي في البشر . وقد كان شيخنا الاستاذ الإمام يقول ان الحرب الروسية العثمانية هي مبدأ هذه الحركة والصوت المحدث لهذه اليقظة الاسلامية العامة . وقد كان هو وشيخه السيد جمال الدين يكتبان في أثناء تلك الحرب المقالات المنبهة والموقظة . وقد رأينا قبل ذلك ان انكلترا حاربت الافغان فلم يكن أحد من المسلمين في مصر والاستانة وغيرهما يحفل بذلك

(٨) انني لا أتعجب من منع جريدة «وطن» الهندية من دخول البلاد العثمانية في عهد عبد الحميد وان كان لا يخشى ان ينتشر بدخولها من الافكار ما لا يحبه لجهل العثمانيين بلغتها ، ولا منع جريدة «وطن» المصرية ان صح انها أرسلت ومنعت على كونها قبطية لا يطمع صاحبها بنشرها في غير مصر — لان العاقل انما يعجب مما جاء على خلاف المعهود ومثل هذا المنع هو المعهود في أيام عبد الحميد لان سياسته كلها وما يتعلق منها بمنع الصحف والكتب خاصة هي سياسة جنون وهل يتعجب العاقل من المجنون اذا آذى من يحسن اليه ؟ ؟

(٩) ان ما ذكره من سيئات عبد الحميد يناقض من وجوه ما ذكره في الرسالة الماضية التي نشرناها في الجزء الرابع التي ادعى فيها انه أصلح مالية الدولة ورقى عسكريتها ومعارفها وعمر داخليتها بل يناقض بعض ما جزم به في رسالته هذه كما سيأتي

(١٠) انا بينا له خطأه فيما أطرى به عبد الحميد من الاعمال التي نسبها اليه وكان يعمل ضدها فلم يستطع ان ينفي شيئا مما أثبتناه وهو مع ذلك يصر على إطرائه بعبارات شعرية ودعوى ظهر بطلانها لكل أحد كدعواه انه منع الدستور لاعتقاده ان الأمة لم تكن أهلا له ثم أهلها له ومنحها إياه

(١١) لا نسلم له انه أول من كتب بالصراحة في ذم عمال عبد الحميد فان جرائد المشرق والمغرب قد فاضت بذم عماله و بذمه هو أيضا قبل سنة ١٩٠٨ التي كتب

صديقنا فيها ولم يشذ عن ذلك الا الجرائد التي كانت تحت سيطرة ظلمه وجبروته أو المستأجرة بماله لمدحه أو الجاهلة بحال الدولة العثمانية او التي لايهمها شأنها كبعض جرائد أمريكا واسبانيا مثلا (وعسى ان لايعود صاحبنا الى دعوى مثل هذه الاولية التي يسخر العقلاء من انتحال بعض الجرائد المصرية مثلها)

(١٢) ان ماذكره عن جريدة معلومات، غير صحيح فهي لم تكن جريدة رسمية ولم يكتب ما كتب فيها عن مشروع سكة الحديد الذي كان اقترحه الكاتب بأمر خفي أوظاهر من السلطان عبد الحميد وانما كان ذلك رأي محررها في ذلك الوقت وهو صديقنا السيد عبد الحميد افندي الزهراوي الشهير وهو الذي حدثنا بذلك عن نفسه. وانما ذكرنا هذا الامر مع كونه ليس من موضوعنا الخاص لغرضين أحدهما كونه مثالا لعدم الثقة بمعلومات صديقنا صاحب وطن عن الدولة العلية وثانيهما معارضته في قوله ان خطأ اللواء في بعض ما ذكره عن الهنود يقتضي عدم الثقة بكل مايكتبه

(١٣) دعواه أننا نحن السياسيين والمؤرخين العثمانيين لانستطيع ان نحكم في قضية الانقلاب العثماني حكما صحيحا لاننا من قبيل الخصم يحكم كل لنفسه وأن مسلمي الهند هم الذين يستطيعون ذلك — هي دعوى غير مسلمة لأن التشبيه في غير محله والاقلنا انه لاثقة بما كتب مؤرخو فرنسا وساستها عن ثورتهم وحكومتهم - ولان اخواننا مسلمي الهند غير واقفين على حقائق الاحوال فيكون حكمهم فيها أجدر بالصحة

(١٤) اننا نعتقد اخلاص مسلمي الهند في حبهم للدولة ونعد صديقنا ومناظرنا من أشدهم غيرة واخلاصا بل نقول ان خطأه جاء من شدة غيرته

المقصد وفيه مسائل

(١) اعترف صاحبنا « بأن الوسائل الاصلية لترقية المملكة العثمانية لم توجد في عهد عبد الحميد » الخ واعترف بأن أخذ أزمة المملكة بيده «صار في آخر الأمر موجبا للخراب » وهذا مناقض لرسالته الاولى برمتها ولبعض مسائل رسالته هذه كما أشرنا الى ذلك في التمهيد والمقدمات

(٢) ادعى مع ذلك الاعتراف ان عبد الحميد كان محسنا في إبطال الدستور الأول واستبداده بالحكم المطلق واستدل على ذلك بدليلين أحدهما سوء حال الدولة وعدم استعدادها للحكم الدستوري بدليل ماحصل من سقوط مدحت باشا المصلح ومن اخذ القواد العثمانيين الرشوة في الحرب الروسية وسوء حال العمال في ذلك العهد وعجز حلمي باشا عن اصلاح اليمن . وثانيهما كون حكم الاسلام هو الحكم المطلق

نجيب عن دليله الأول من وجهين أحدهما إنما يصح كونه محسنا في ذلك لو كان عدل في حكمه المطلق وأصلح وهو لم يكن الا ظالما مفسدا زادت الرشوة في زمنه أضعافا مضاعفة . وثانيهما انه كان يمكنه ان ينفذ الدستور مع الرجال المستعدين لذلك الذين وضعوه كمدحت باشا وإخوانه كما فعل ميكادو اليابان فيكون في أول الامر دستوريا في الصورة وحكما بين المطلق والشوري في الحقيقة و بذلك يقوى استعداد الامة بسرعة . هذا ماتقوله مؤخرا في الدليل نفسه لأ نا لا ننكر كون الامة العثمانية لم تكن في عهد مدحت باشا مستعدة للدستور بنفسها بل صرحنا بذلك مرارا في خطبنا ومقالاتنا المنشورة في المنار . أما الجزئيات التي أيد بها ذلك فهي مجال للبحث فان عبد الحميد اغتال مدحت باشا بالحيلة الخفية بعد ما نقله من ولاية الى ولاية والامة لم تفطن لكيده. وان حسين حلمي باشا عجز عن اصلاح اليمن لان كل اصلاح مع استبداد عبد الحميد وخرقه كان محالا على ان حلمي باشا كان حسن الادارة في اليمن لاينكر أهلها ولا غيرهم ذلك

ونجيب عن دليله الثاني بمنع زعمه ان حكومة الاسلام حكومة فردية مطلقة . وقد أساء جدا في قوله ان حكم النبي صلى الله عليه وآله وسلم وحكم الصديق والفاروق رضي الله عنهما كان حكما مطلقا برأيهم الله مما قال وانما ذلك هو حكم الشورى الكامل ، وحكم التقييد بالشرع في الظاهر والباطن ، وقد بينا ذلك في المنار غير مرة مؤيدا ببراهين الكتاب والسنة وسيرة الخلفاء الأربعة . فليراجع صاحبنا تفسير « وشاورهم في الامر » من المجلد الحادي عشر ومباحث الحكومة الاسلامية في المجلد الرابع وغيرهما من المجلدات وليستغفر الله تعالى مما قال

(٣) أذكر بعد زعمه ان حكومة الاسلام التي قام بها النبي (ص) والخلفاء

الراشدون كانت حكومة مطلقة زعمه انني قلت ان الحركة الجديدة في الدولة العلية هي عين التوحيد والاسلام ورده ذلك بزعمه ان فتيان الترك القائمين بهذه الحركة يتبعون خطوات فرنسا باسقاط الملك فعلماء الدين ثم بقطع العلاقة بين الناس وربهم واختيار مذهب الماديين الدهريين

ونقول في جوابه ان زعمه هذا من سوء الظن المتعلق بمكنونات الصدور ومخبآت الغيب المستقبل . واذا كان صاحبنا ومناظرنا لا يعرف حقيقة الدولة الحاضرة وحال القائمين بها فكيف يعرف ماخبئ لها في الغيب . بل كيف يمكنه أن يدعي الاستدلال بالحاضر على الغائب . ان الاحرار الذين بأيديهم حدثت الحركة هم النابغون من العثمانيين العرب (كالقواد محمود شوكت باشا وهادي باشا وعلي رضا باشا) والترك (كأنور بيك من الضباط وغيره) والألبان (كنيازي بك من الضباط وغيره) ولم يعرف عن أحد منهم الكفر وانتحال مذهب الماديين وكذلك النابغون من المبعوثين والاعيان لم يعرف عنهم ذلك الا ما نقل عن رضا نور مبعوث أدرنه من ذلك القول الذي اعتذر عنه وهو لم ينقل على وجهه . ولم يعرف عنهم انهم يفضلون الحكومة الجمهورية على الملكية

نعم انني لا أنكر انه يوجد في متفرنجي الترك — وكذا غيرهم من العثمانيين — كثير من الملاحدة لفساد التربية في البلاد والتعليم في مدارس الحكومة ولا يبعد ان يوجد منهم أفراد في مجلس المبعوثان وفي لجان جمعية الاتحاد والترقي ولكن يوجد في هؤلاء الملاحدة من هم أحرص على جعل الدولة إسلامية من جميع المتنطعين في التدين لانهم يعرفون من فائدة ذلك مالا يعرفه المتنطعون . فالملحد الغالي الذي يخشى من غلوه على شكل الحكومة الاسلامي قليل . واختلاف الآراء والاهواء في الحكومة طبيعي في كل أمة فقد كان في عصر الاسلام الأول من يميل الى جعل الحكومة حكومة أشراف كشيعة علي كرم الله وجهه ؛ ومن قال منا أمير ومنكم أمير ؛ ومن يميل الى الديمقراطية المعتدلة وهم الأكثر . ووجد في ذلك العصر الخوارج وناهيك بمذاهبهم في الحكومة

وتقول من وجه آخر إذا كان ما ذكره عن فتيان الترك أو العثمانيين ونابتتهم المتعلمة صحيحا وكانوا هم المعدين لادارة المملكة بمقتضى طبيعة الحال ألا يكون من سوء ادارة عبد الحميد أنه لم يرب في ثلث قرن من يصلح لإدارة دولة إسلامية كدولته ؟

ان مناظرنا الصديق يحتج علينا تارة بأن عبد الحميد رقى التربية والتعليم في الدولة حتى صارت اهلا للدستور فتكرم وتفضل بالانعام عليها به مختارا مسرورا ، وتارة يحتج علينا بأن هؤلاء المتعلمين ملاحدة لا ينتظر منهم الا الإلحاد والافساد؟ وليت شعري ماذا يفيد بقاء عبد الحميد في الملك مع التعليم والتربية التي تنتج مثل هذه النتيجة ؟ أكانت كل رغبة مناظرنا وغرامه من التمتع بالحكم الاسلامي الحميدي هو ان يبقى لعبد الحميد استبداده الى ان يموت على فراشه ؟ أليس ماظهر من عدل الله فيه مما يزيد الذين آمنوا إيمانا ؟

اما ما اشار اليه الصديق المناظر من استحسان الاعتبار بحال الانكليز والاقتباس من سيرتهم وتاريخهم وكونهم أقرب الى الحكومة الاسلامية الصحيحة من غيرهم فهو مقارب لرأي اخيه ومحبه هذا وقد نبهت الى هـذا في خطب وأقوال كثيرة وكتبته في المنار ايضا في بعض المقالات ولعل الصديق رآه وسنعود اليه بالبيان الكافي ان شاء الله تعالى

(٤) يقول صديقنا ان المشير احمد مختار باشا الغازي سيء النية وعدو للسلطان عبد الحميد أي فلا يحتج بقوله فيه · ويقول لي « كأنكم ليس لكم علم بأن عبد الحميد كان واقفا من مدة على سوء نية الرجل وامياله العدائية نحوه »

وأقول أولا — كيف كان يعلم هو في الهند من العلاقة بين مختار وعبد الحميد مالا أعلمه وانا في مصر اسهر الليالي الطوال مع مختار باشا ونتحدث في احوال الدولة بالحرية التامة ويذكر لي كثيرا من الاسرار وهو يعلم اني أمين عليها ، ومنها رأيه في السلطان ورأي السلطان فيه · وثانيا ـ لماذا يكون مثل احمد مختار باشا سيء النية لعبد الحميد وشديد العداوة له مع ما ذكر صديقنا المناظر من إنعامه عليه وإكرامه له ؟ هل يعقل ان يكون لذلك سبب الا اعتقاد هذا المشير الذي بذل في سبيل الدولة

دمه غير مرة أن عبد الحميد جان عليها ومخرّب لها وهو الذنب الذي لا يغفره عند هذا الرجل العظيم الإنعام ولا الإكرام الشخصي · وثالثا ليراجع صديقنا ص ٦و٧ من منار هذه السنة يجد فيها ان السلطان عبد الحميد كان يتهم مختار باشا بأنه يساعد جريدتي المنار والقانون الاساسي لانهما أنشئتا لمقاومته نفسه · ولو شئت لذكرت له كثيرا من أمثال هذه الوقائع والحوادث والمكاتبات الرسمية السرية ليعلم انني اذا قلت فيه إنه لا يعرف حقيقة ما كان عليه عبد الحميد في دولته ورجالها فانما أقول عن علم واختبار لا يمكن لمثله ان يصل الى ذرة منهما لان قصارى مايصل اليه نتف متعارضة في الجرائد

وما قيل في احمد مختار باشا يقال في محمود شوكت باشا وأمثاله من المشيرين وقواد الجيش وغيرهم من العقلاء الذين لم يصب أشخاصهم شر عبد الحميد و بغيه · فاذا كان مثلي في غيرته على الدولة والملة متهما عند الصديق (سامحه الله) لأن بغي عبد الحميد وحكومته أصابنا في أنفسنا وأموالنا وأهلينا فبماذا يتهم هؤلاء ؟ على أنه لو فكر قليلا لعدّ اضطهاد الحكومة الحميدية لمثلي من أسباب التعديل لا من أسباب الجرح اذ لولا الصدق والاخلاص لسهل عليّ أن أكون مطوقا بذهب عبد الحميد دون سلاسل غضبه ولا يعقل ان يكون بين أمثالنا و بينه عداوات شخصية

(٥) نرى آخر ماستقر عليه رأي صديقنا انه كان يجب إبقاء عبد الحميد على عرشه ومشاركة جماعة الدستور له واستعانتهم بتجاربه على إقامة الحكومة الجديدة ولكنهم لم يفعلوا ذلك إيثارا للانتقام منه

ونقول ان أكثر العقلاء من الاجانب والعثمانيين العارفين بالتاريخ يرون انه كان يجب قتله عند الانقلاب الأول وإراحة الأمة من شره وان جمعية الاتحاد والترقي التي كانت تدير القوة غلبت العفو والسماح والرحمة على الشدة والانتقام وظنت أنها تستطيع ان تنسخ سنة من سنن الاجتماع البشري فتحدث انقلابا في الحكم، غير ملطخ بالدم ،وقد كنت أنا ممن حذر من التعدي على شخص السلطان ودعا الى الاستفادة من تجاربه في الامور الخارجية في أول مقالة كتبتها بعد إعلان الدستور ولكن أبى الله ذلك فأبى عبد الحميد ان يعيش مع حكومة الشورى والدستور ، يرضى

القتيل وليس يرضى القاتل » فأخذ يكيد لها كما كاد لسابقتها ، فوقع في البئر التي حفرها، أما آن لك أيها العاشق لعبد الحميد ان تعرف الحقيقة التي عرفتها الارض والسماء ولم يبق منفذ للشك فيها

(٦) يقول ان محبي الحكم المطلق من مسلمي العراق وكردستان وجزيرة العرب والاناطول سيهبون الى مقاومة الدستور بعد انقضاء مدة الاحكام العرفية · يعني ان من خطر الحكومة الدستورية على الدولة أنها مضادة لما عليه السواد الاعظم من المسلمين وستكون سببا للثورات والفتن الداخلية

ونقول ان البلاد التي ذكرها ان كانت جديرة بعدم فهم منافع الدستور لعموم الجهل فيها كما بينا ذلك في الكلام على تفاوت البلاد العثمانية في الاستعداد والعلم فهي أيضا لا تعشق الحكم المطلق تفضيلا له على المقيد بحجة دينية أو عقلية وإنما يخشى من الفتن فيها لان الزعماء الذين كانوا يتحكمون فيها بالدماء والاعراض والاموال شعروا بأن ايديهم ستغل وسلطتهم ستزول فهم لاجل هذا أحبوا ويحبون مقاومة الحكومة الدستورية كلما وجدوا الى ذلك سبيلا ولكن الحكومة ستطهر البلاد من شرهم في مدة أقصر من المدة التي دنسها بهم عبد الحميد ان شاء الله تعالى

(٧) يقول اذا لم يكن لعبد الحميد أنصار محبون فمن هؤلاء الذين تشنقهم الحكومة العرفية كل يوم

ونقول ان أعوان عبد الحميد على تخريبهم المملكة لتعمير بيوتهم وإذلال أهلها لأجل تفنجهم وتعاظمهم لا يعقل ان يكونوا غير محبين له وللتمتع بنعيم سلطته فهم كأولئك الزعماء الذين ذكرناهم في المسألة السادسة

(٨) انني لا أقول شيئا في طعنه بمولانا السلطان محمد الخامس الا دعوته الى التوبة والاستغفار من هذه المعصية فان لم يجب الآن فانه سيجيب بعد زمن بعيد أو قريب يعلم فيه أن محمداً الخامس في بني عثمان كعمر بن عبد العزيز في بني أمية، كما ان عبد الحميد، شر من يزيد، فسلطاننا الآن ليس آلة في يد أحد كما أن الشرع والدستور ليسا آلة في يده يستعملها بهواه كذلك المسلَّط بالبغي الذي أدال الله لنا منه ٠

ومن التناقض ان يطلب صاحبنا الجمع بين الدستور واستبداد السلطان واعجب من ذا أن يعد هذا من الاسلام

(٩) قال ان المقطم تجاوز الحد في ذم عبد الحميد وان جرائد بيروت تنقل عنه الخ

ونقول ان المقطم كان دائما يطعن في عبد الحميد وحكمه ولكن يتحامى الطعن الشخصي الصريح الذي يخشى أن يعاقب عليه القانون المصري الذي يعد السلطان سلطانا له و بعد سقوطه زال هذا المانع · أما كونه كان « مخالفا للحقوق التركية والمصرية» وسيئ النية فنطلب من صديقنا المناظر الجمع بينه وبين مامدح هو به الانكليز من العدل وحسن النية وارادة الخير فانه لايختلف اثنان في كون المقطم كان ولا يزال مؤيدا لسياسة الاحتلال لأن مذهبه في حسن نية الانكليز كمذهب صاحبنا · وأما كون جرائد سورية لم تكن تذم عبدالحميد في عهده فهذا من البديهيات التي لاحاجة الى الكلام فيها · على ان أكثر هذه الجرائد السورية جديدة حدثت بعد الدستور

(١٠) قال انني اتهمت عبدالحميد بشرب الخمر واستغفر هوالله من هذه التهمة بالنيابة عني وقال ان وجود الخمر في قصره كان لأجل ضيوفه الاوربيين « الذين كثيرا ما كانوا يدعون كل يوم على المائدة» يريدان يبرئ كل من كان في القصر من الشرب

واقول لصديقي ومناظري الفاضل انني اعجب لقلبه الشريف الذي يملأه الحب حتى لايدع فيه مجالا لشيء يزاحمه وأتمنى لو افوز بدوام حبه وصداقته · ثم أوكد له القول بأنني لم استدل على شرب عبدالحميد للخمر بما نقلت الجرائد من وجود طائفة من الخمور في يلدز كما فعل اللواء فانني أعلم منذ سنين انه يشرب الخمر وان اكثر من في يلدز كان يشربها بلا نكير وانها هناك من المؤونة الضرورية · أعرف هذا من الثقات الذين أكلوا فيها وخالطوا أهلها · وكثيرا ما كان يذكر في البرقيات العمومية والجرائد شرب عبد الحميد للخمر في سياق الكلام عن صحته ومرضه ومنها أنه في اوائل العهد بالانقلاب كان يتغذى بالروم المعتق . . .

(١١) قال ان عبد الحميد لم ينتقم لنفسه من مختار باشا وأمثاله من أحرار الترك لإيثاره الحلم والعفو

وأقول انه لم يكن قادرا على ان يعامل مختار باشا بأكثر مما عامله به وصديقنا

لا يعرف من معاملته له شيئاً قط ولا حاجة الى إعلامه به . وأما انتقامه من الاحرار فلم يدخر فيه وسعا فقد قتل رئيسهم مدحت باشا وكثيرين غيره وسجن ونفى خلقا كثيرا . وعوالم المدنية كلها تعرف ذلك حتى ان الافرنج يلقبونه بالسفاح و بالسلطان الاحمر . ولا أحب أن أناقشه فيا ذكره من مدح أخلاقه فانها شعريات لا يؤبه لها وما أحببت لهذلك التشبيه الذي ذكره عند الكلام في شجاعته لان ادبه في نفسي اعلى من ذلك . والذي عليه المحققون ان جمود عبد الحميد في موضعه يوم الزنزلة قد كان من شدة الخوف واضطراب الاعصاب . وما قاله في مسألة الاسطول كلام في الهواء لا عمل يستدل به . وليكن عبد الحميد شجاعا فماذا جنينا من شجاعته التي لم نر احدا قال بها الا صاحب الوطن اوجبنه الذي يضرب به المثل غير الحنظل والزقوم

(١٢) اعاد صاحبنا صدى قول المؤيد ان من ضرر الانقلاب الاخير اظهار كنوز «يلدز» ومخبآتها اذ علم من ذلك أنها ليست كما يظن الأوربيون وكان توهمهم ان فيها مالا يحصى من الملايين قوة خفية للدولة تخيفهم من الاقدام على مناوئتها فهي كتوهمهم تعلق جميع المسلمين به

ونقول ان هذا القول لا يصدر عن سياسي عارف الا اذا أراد به الخلابة والمخادعة لفساده من وجوه (منها) ان الوهم البين الواضح هو ما تخيله صاحبا المؤيد ووطن من انه يمكن ان يوجد عشرات من الملايين من النقد الذهبي لا يعرف مكانه الأورييون الذين يديرون ثروة العالم . ومن الشواهد الصغيرة على ذلك ما ذكرته جرائد الاستانة من أن مدير البنك العثماني فيها لاحظ ان عددا يؤبه له من قراطيسه لا يعود اليه في دورة التعامل فجزم بأنه في « يلدز » وهو ما وجد فيها (ومنها) انهم يعرفون موارد الدولة أكثر مما كانت تعرفها نظارة ماليتها (ومنها) انهم كانوا يعلمون ان عبـد الحميد يودع في كل سـنة ما يزيد على نفقاته والمال الاحتياطي لها في بيوتهم المالية (البنوك) وهم يعرفون مقدار ما أودعه في تلك البيوت (ومنها) ان الاعتماد على الوهم في صيانة الدولة وحفظها مما لا يجنح اليه عاقل "لأنه عرض زائل، فان أفاد عبد الحميد مدة وجوده ، فهو لا يفيدها بعدموته" (ومنها) انا ما رأينا آية ولا علامة لخوف دولة من الدول من ثروة عبد الحميد وخلافته عند حدوث الحوادث،

ونزول الكوارث ، وإنما كانوا يطلبون منه الامر الشائن المذل له ولدولته فاذا راوغ وهددوه أجاب صاغرا ، وخنع متضائلا ، ولم ينس أحـد تهديد فرنسا له في مسألة الارصفة وانكلترا في مسألة العقبة وايطاليا في مسألة البريد ، وما كان يساورنا من الذل والمهانة من سياسته معهم . ثم إنهم انتزعوا في أيامه معظم الولايات الاوربية من الدولة حتى انه لو بقي سلطانا سـنة أخرى لذهبت الولايات المكدونية التي هي سياج العاصمة بلا نكير . فاتقوا الله أيها المتصررون لذلك المدمر المخرّب فقد وضح الحق في ذلك لكل أحد

(١٣) بقي ما انتقده الصديق عليّ من ايراد آيات الإنذار من القرآن في المقالة التي كتبتها للعبرة بالانقلاب الاخير قال انه لم يكن يليق بي ان أصوّب سهام آيات الانذار من القرآن الكريم الى عبد الحميد الذي لم يبق له شيء من الحول والطول و إن ما جرى له ليس أمراً كبيراً بالنسبة الى ما جرى لغيره من الخلفاء والملوك والكبراء وذكر بعض من قتل وعزل من المتقدمين والمتأخرين

وأقول ان الصديق نفعنا الله بمودته قد حفظ شيئا وغابت عنه أشياء أهمها ان الكلام في تلك المقالة ليس من باب إظهار الشجاعة بمقاومة عبد الحميد بعد ان صار مثلي ليس له سلطة ولا خطر في بالي ان عبد الحميد يقرأها أو يعلم بها وإنما هي تذكير لقراء المنار بعواقب الظلم والإفساد والبغي والغرور بالقوة والغنى والملك والسلطان ، ومحاولة الفرد إذلال الامة وقهرها لهيناً له التمتع بلذة السيادة ولوازمها فيها : ولو قتل عبد الحميد غيلة كما قتـل عمر بن الخطاب رضي الله عنه لم تكن العبرة التي شرحناها تامة في شأنه

ان صديقنا نظر في المسألة من الجهة الشخصية فعد سقوط سلطة عبد الحميد كقتل عمر وعثمان والحسين (رض) واسر نابليون وعزل بسمارك وقتل مدحت باشا . وما ابعد الفرق بين هذه الحوادث وأشد اختلاف وجوه العبرة فيها . لو صح ما رمي اليه لما كان لنا فائد فيما ذكره الله تعالى من العبر في هلاك المفسدين والظالمين كفرعون وآله ومن عينهم ومن أبهم قصصهم من السابقـين بل لكان ذكرها في كتاب الله تعالى من اللغو الذي يتنزه كلام الله عنه

قتل عمر لم يكن الا كونه فما خاب به سعيه ولا حبط عمله بل لا يزال يضرب المثل بعدله. وفي قتل عثمان من وجوه العبرة ماليس في قتل عمر لا ن لينه لبني أمية الطامعين أوجد في الأمة مقدمات الاستبداد ، وولد فيها جراثيم الفساد ؛ فانتج ذلك من الشر ما أنتج . وفي قتل الحسين عبرة أخرى من حيث إنه لم يعدّ للظالمين العدة الكافية بحسب سنن الله تعالى ولم يكن تأثير ظلمهم قد بلغ الحد الذي يوجب سقوط دولتهم . واما نابليون فلم يكن الا مفسدا في الارض مغرى بسفك الدماء فالعبرة في خذلانه يعد من باب العبرة في خذلان عبد الحميد

والحاصل اننا نذكر صاحبنا بأن العبرة بالحوادث العامة غير مسألة الشماتة بقتل الافراد أو عزلهم وذلك مما لا يخفى عن علمه وفهمه لولا انه متألم مما جرى لعبدالحميد تألما ملأ جوانحه لحسن اعتقاده بسياسته وهو مخطئ معذور في ذلك فعسى ان يكون قد استبان له الحق فصار من انصاره ، كما يليق بفضله وإخلاصه ،

﴿ رسالة المحجوب . من باب الانتقاد على المنار ﴾

٢

وقد ادعى المحجوب ان الاحاديث التي تدل على جواز دعاء غير الله تعالى كما يفعله العوام كثيرة مشارعها ، مفعمة تضيق المهارق عن استقصائها ؛ ولم يأت منها بشيء قط فان أثر الاستسقاء ليس حديثا مرفوعا وطلب الدعاء من أو يس ليس محلا للنزاع فان الدعاء يطلب من الاعلى للأدنى اذ لا خلاف في فضل عمر على أويس . وكل ما ورد في الشفاعة خاص بالدار الآخرة والوهابية يعترفون به كله ويفرقون بينه وبين الشفاعة التي انكرها الله تعالى على المشركين كما فرق ابن تيمية بينهما في كتبه المتداولة وقد بينا ذلك في التفسير وغيره مرات

قال المحجوب « واما ما جنحت اليه من هدم ما يبني على مشاهد الأولياء من القباب ، من غير تفرقة بين العامر والخراب ، فهي الداهية الدهياء والبلية العظمى ،

من الظلم ، الذي أضلك الله فيه على علم » ثم انه بعد سرد جمل واسجاع من هذا السباب أول الأحاديث الواردة في النهي عن البناء على المقابر بقوله « ان محل ذلك الزجر ، ومطلع ذلك الفجر ، في البناء على مقابر المسلمين ، المعدة لدفن عامتهم لا على التعيين ، لما فيه من الحجر على بقية المستحقين ، ونبش عظام السابقين ، » ثم جعل محل الإباحة كون البناء في ملك الباني وأنه لا حرج فيـه ، ثم ذكر ان المسألة محل خلاف بين النظار وان هذا المنكر ليس متفقا عليه !!!

أقول ما أفسد الدين في أمة من الأمم الا مثل هـذا التحريف للنصوص ممن يلبسون على الجهل لباس العلماء فتتبعهم العامة على تحريفهم فتضل عن دينها ولمثل هذه الغاية الرديئة منعوا العلم بالكتاب والسنة زاعمين بجهلهم انه لا يفهمها أحد بعد قرن كذا . ألا يكفي لمن له أدنى إلمام بالعربية وان كان عاميا أن يضرب بتأويل المحجوب وتحريفه عرض الحائط اذا سمع الاحاديث الشريفة الواردة في ذلك وقد ذكرناها مراراً ونشير هنا الى بعضها

فمنها حديث أنس في الصحيحين وغيرهما وحديث عائشة وابن عباس عند أحمد والشيخين وغيرهم وحديث أسامة عند أحمد في لعن أهل الكتاب لأنهم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد قالت عائشة « يحذر ما صنعوا » أي يحذر النبي (ص) أمته من مثل ذلك وفي رواية لأحمد والشيخين والنسائي انه صلى الله عليه وسلم قال « أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجداً » الحديث . وفي رواية لابن سعد « ألا ان من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد فلا تتخذوا القبور مساجد فاني انها كم عن ذلك » والروايات في ذلك كثيرة وهي تدل في جملتها وتفصيلها على ان مدار النهي والحظر تعظيم قبور الصالحين وجعلها في مواضع العبادة كراهة أن يحدث ما حدث فينا حيث اتبع الجماهير منا سنن أولئك الذين لعنهم الرسول (ص) شبرا بشبر وذراعا بذراع فعظموا أصحاب القبور تعظيما وصل الى حد العبادة إذ صاروا يخشعون و يضرعون اليهم بالدعاء وطلب الحاجات ، اما ان العلماء لو كانوا يعظون الأمة بهذه الاحاديث لما بنت على قبور الصالحين

القباب والمساجد وتعرضت للعنة الله ورسوله ولكن قصر الكثيرون من المطلعين على هذه الأحاديث ثم خلف من بعدهم خلف لا يعرفون الحديث ولا يفهمونه فصاروا يحرفون ما يسمعون ويؤوّلون للعوام والخواص ما يعملون حتى وصلنا إلى ما وصلنا اليه مع وجود الاحاديث بنصوصها وتفسير المحققين لها

أورد ابن حجر الفقيه جملة من هذه الأحاديث في بيان الكبيرة ٩٣ — ٩٨ من كتابه (الزواجر) وهي « اتخاذ القبور مساجد وايقاد السرج عليها واتخاذها او ثاناوالطواف بها واستلامها والصلاة اليها» ثم قال

« عد هذه الستة من الكبائر وقع في كلام بعض الشافعية وكأنه أخذذلك مما ذكرته من هذه الأحاديث . ووجه أخذ اتخاذ القبر مسجدا منهاواضح لأنه لعن من فعل ذلك بقبور أنبيائه وجعل من فعل ذلك بقبور صلحائه شر الخلق عند الله يوم القيامة ففيه تحذير لنا كما في رواية « يحذر ماصنعوا » أي يحذر أمته بقوله لهم ذلك من ان يصنعوا كصنع أولئك فيلعنوا كما لعنوا. واتخاذ القبرمسجدامعناه الصلاة عليه أو إليه وحينئذ فقوله (أي قول ذلك الإمام الذي نقل ابن حجر قوله في كون هذه الأمور الستة من الكبائر) مكرر الا ان يراد باتخاذها مساجد الصلاة عليها فقط ، نعم إنما يتجه هذا الأخذ اذا كان القبر قبر معظم من نبي أو وليّ كما أشارت اليه رواية « إذا كان فيهم الرجل الصالح » ومن ثم قال أصحابنا تحرم الصلاة الى قبور الانبياء والأولياء تبركا واعظاما ، فاشترطوا شيئين ان يكون قبر معظم وان يقصد بالصلاة اليه ومثلها الصلاة عليه التبرك والاعظام . وكون هذا الفعل كبيرة ظاهر من الاحاديث المذكورة لما علمت . وكأنه قاس على ذلك كل تعظيم للقبر كايقاد السرج عليه تعظما له وتبركا به والطواف به كذلك وهوأخذ غير بعيد سيما وقد صرح في الحديث المذكور آنفا بلعن من اتخذ على القبر سرجا فيحمل قول اصحابنا بكراهة ذلك على ماذا لم يقصد بهتعظيما اوتبركا بذي القبر (١)

(١) أي ان وضع السراج والقنديل على القبر له حالان حال كراهة اذا كان القبر غير معظم ولم يوضع السراج عليه بقصد تعظيم وحال حرمة من الكبائر اذا كان قبر معظم كقبور الاولياء

(قال) واما اتخاذها اوثانا فجاء النهي عنه بقوله صلى الله عليه وسلم «لا تتخذوا قبري وثنا يعبد بعدي» أي لا تعظموه تعظيم غيركم لأوثانهم بالسجود له اونحوه (١) فان اراد ذلك الامام بقوله «واتخاذها اوثانا» هذا المعنى اتجه ما قاله من ان ذلك كبيرة بل كفر بشرطه وان اراد ان مطلق التعظيم الذي لم يؤذن فيه كبيرة ففيه بعد. نعم قال بعض الحنابلة قصد الرجل الصلاة عند القبر تبركا بها عين المحادة لله ورسوله و إبداع دين لم يأذن به الله للنهي عنها ثم اجماعا فان أعظم المحرمات وأسباب الشرك الصلاة عندها واتخاذها مساجد اوبناؤها عليها والقول بالكراهة محمول على غير ذلك اذ لا يظن ظان بالعلماء تجويز فعل تواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم لعن صاحبه وتجب المبادرة لهدمها وهدم القباب التي على القبور اذ هي أضر من مسجد الضرار لأنها اسست على معصية رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه نهى عن ذلك وامر صلى الله عليه وسلم بهدم القبور المشرفة وتجب إزالة كل قنديل او سراج على قبر ولا يصح وقفه ونذره انتهى»

(المنار) ذكرنا هنا ما قاله ابن حجر نقلا وتفقها لالأن ما جاء به أظهر من الاحاديث الشريفة بل ليعلم من لم يطلع عليه وعلى أمثاله من أقوال العلماء المدققين ان التحريف الذي جاء به ذلك المحجوب تنبو عنه النصوص النبوية الشريفة ويخالفه كلام العلماء المحققين في شرحها وان خصمه ما ضل في هذه المسألة — كما زعم — على علم، ولكنه هو ضل على تحريف وجهل، وهكذا كل كلامه مبنيٌّ بجهله أو تعمده التحريف. ولعل من طبع هذه الرسالة لو استشار كبار علماء تونس كالشيخ سالم أبي حاجب لأشاروا عليه بعدم طبعها لانهم يرون من العار نسبتها الى واحد منهم

ثم ذكر المحجوب مسألة زيارة القبور فجاء فيها بما هو مشهور على ألسنة العامة وخصمه لا ينكر الرخصة في زيارة القبور ولكنه ينكر ان تزار لغير ما صرح به في الحديث من سبب الزيارة وهو العبرة وتذكر الآخرة وما غلط به الغزالي من مسألة

---

(١) اي كالدعاء عنده والطواف به وتقبيله والتمسح به. وهو ما يفعل بقبور الصالحين في المساجد والزوايا والقباب كل يوم.

الاستمداد لا يقوم حجة عليه لانه لا يدخل في مفهوم الحديث بل يخالفه على ان الغزالي لا يبيح تعظيم القبور ودعاء من دفن فيها وغير ذلك مما نهى عنه النبي صلى الله عليه وسلم

وكذلك حرف حديث « لا تشد الرحال » فألحق به قيد نذر الصلاة فيها ولو جاز لنا ان نقيد الآيات والاحاديث بما لا تدل عليه عبارتها لما سلم لنا من ديننا شيء ومن جهله بالحديث أنه جعل غاية الاحتجاج وعمدة البراهين على زيارة قبر النبي الاعظم صلى الله عليه وسلم حديث « من زار قبري وجبت له شفاعتي » (كما في ص ١١) وأهون ما قال المحدثون في هذا الحديث انه ضعيف كما ترى في الجامع الصغير للسيوطي ، وكأن المحجوب قد حجب والعياذ بالله تعالى عن جميع كتب السنة حتى مثل الجامع الصغير

ثم احتج (في ص ١٢) ببناء سليمان لقبر الخليل عليهما السلام و ببعض روايات حديث المعراج ان جبريل أمر النبي (ص) ان ينزل عند قبر جده ابراهيم (ص) فيصلي ركعتين ففعل وزعم أن هذا حديث صححه المحدثون الثقات وهو كاذب في ذلك بل قال شيخ الاسلام في تفسير سورة الاخلاص انه موضوع ولم يكن لابراهيم صلى الله عليه وآله وسلم قبر مبني قبل الاسلام ولا في العصر الأول له . على انه إذا صح لا يكون حجة على خلاف ما قلناه لانه لا يعارض الأحاديث الصحيحة التي أشرنا اليها إذ لا يدل على ان القبر كان عليه مسجد ولا على انه (ص) صلى إليه أو عليه معظما له بل به تصدق كلمة «عنده» بالصلاة في مكان هناك وان بعد عن القبر . فان فرضنا انه هذا الحديث يعارضها والجمع بينه وبينها متعذر وجب القول بنسخه دونها لأن أحاديث المعراج كانت في أول الاسلام وأحاديث النهي عن القبور كانت قبيل وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم حتى انه كان يقولها قبل الموت بخمس ليال ويقول « اللهم اني بلغت » ثلاث مرات ثم قال « اللهم اشهد » ٣ مرات كما في حديث كعب بن مالك عند الطبراني . وأنى للمحجوب أن يطلع على هذا ؟

وحرف أيضا النهي عن وضع السرج على القبور فقال (في ص ١٣) «بحمله على تقدير صحته على فعل ذلك للتعظيم المجرد عن انتفاع الزائرين (قال) واما اذا كان القصد به انتفاع اللائذين والمقيمين ، فهو جائز بلا مين » وهذا من التحكم في حديث الرسول

صلى الله عليه وآله وسلم بالهوى وقد علم مما مر عن ابن حجر فساد تحريفه . و بناؤه التحريف على فرض صحة الحديث من دلائل جهله بالرواية

وحرف أيضا وأول النذور والذبائح لاصحاب القبور وزعم ان تلك النذور لاتفعل على انها من باب الديانات . و بطلان هذا بديهي لكل مختبر الا انه يجوز ان يكون لم يطلع على مااطلع عليه غيره من تلك البدع فأطلق النفي كعادة أمثاله من الذين يكيلون جزافا

وحرف أيضا الاحاديث الواردة بطمس القبور وتسويتها زاعما ان المراد طمس ما كان من ذلك للجاهلية وانه لا بأس باتباع المسلمين لسنتهم بل زعم ان المسلمين انما يحفرون القبور تحت البناء وهذا لادليل على منعه والجاهلية يبنون على القبور (انظر ص١٥) وهذه سخافة لايكاد يرضاها لنفسه عاقل فاذا كانت الأحاديث صريحة في منع تعظيم القبور بالبناء عليها فهل يعقل ان يكون هناك فرق بين تقدم بناء المسجد على القبر أو تأخره عنه ؟ ؟ على ان المسلمين يفعلون الامرين معا كما هو مشاهد في مصر وغيرها

اما صاحب الذيل لتلك الرسالة (أحمد جمال الدين) فهو أجهل من المحجوب واكثف حجابا فلا يستحق ان يقام له وزن فيرد عليه وبماذا يخاطب من يرمي شيخ الاسلام ابن تيمية بالانحراف عن السنة وتحقير السلف وهو هو الذي امتاز على جميع علماء الاسلام بنصر السنة وخذل البدعة والدعوة الى اتباع السلف واظهار خطأ من خالفهم من المتكلمين والصوفية والفقهاء بالحجج والبينات النقلية والعقلية ولولا هذا لما تكلم فيه أحد كما علم مما نشرناه من ترجمته في المجلد الماضي، وان له رحمه الله كتابا في المسألة التي يعبرون عنها بالتوسل جمع فأوعى سيطبع . ينشر فترى ما يقول عباد القبور فيه

أرسل الينا هذا الكتاب لأجل طبعه ونحن نكتب هذا الرد على المحجوب فاختصرنا فيه لأن البيان المطول في مسألة التوسل التي هي أم هذه المسائل سيظهر في هذا الكتاب عن قريب ان شاء الله تعالى

———

باب الأخبار والآراء

الاحتفال بعيد الدستور العثماني

قرر مجلس الأمة العثمانية المؤلف من المبعوثين والاعيان أن يكون مثل اليوم الذي أعلن فيه الدستور من كل عام عيدا وطنيا للعثمانيين تحتفل فيه الحكومة رسميا . وصدرت إرادة السلطان الدستوري الاول مولانا محمد الخامس بذلك، وقد علم من صحف عاصمة السلطنة ان الاحتفال الاول فيها سيكون ذا بهجة وفخامة لم يعهد لها نظير، يشترك فيه الاهالي مع الحكومة بمحض أريحيتهم واختيارهم راضين مسرورين لا كاحتفالات عيد الجلوس الحميدي التي كان عبد الحميد ينفق على الرسمي منها وغير الرسمي حتى انه كان يرسل مقدار الزينة من يلدز الى دور الكبراء لعلمه انه لا يكاد يوجد فيهم من ترتاح نفسه الى إنفاق شئ مما ملكته يده على ذلك وان كان مما نهبه بجاه عبد الحميد من مال الامة أو مما باعه للاجانب من مصالحها

سبق لنا بحث في فلسفة هذه الاحتفالات في المجلد الرابع من المنار في مقالة عنوانها (الشعور والوجدان، وشعائر الامم والاديان) (في ص ٦٤١) وفي استدراك عليها (في ص ٦٧٥) وقد بينا هنالك ان الاعياد من الشعائر التي تحيي شعور الامم بالمعنى الذي وضع العيد لاجله سواء كان دينيا أو اجتماعيا ومما قلناه في المقالة :

« إن أهل الغرب اتخذوا لملوكهم أعيادا لإحياء الشعور الوطني الذي يمثله رئيس الدولة في المملكة ، وللدول الجمهورية منهم اعياد باسم الحكومة التي يعتزون بها ويعززونها . وقد قلدهم الشرقيون في الاحتفال بأعياد ملوكهم وأمرائهم لإرضائهم إذ كانوا لا وطن لهم ولا وطنية ، ولا دول عزيزة بحكومتها قوية ، ولا شك ان هذه الأعياد شعائر تبعث الشعور بحب السلطان أو الامير في نفوس الذين يعتقدون

النفع فيه للدولة والامة . فينتفع بهذا المستبدون ، ويغتر به المغترون ، حتى يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون »

وقد مزجنا في هذا بين ماهو مقصود من هذه الاحتفالات بأعياد الملوك والامراء الفا وما كان ينبغي ان يقصد ثم استدركنا على ذلك في الجزء الذي نشرت فيه المقالة بعد ذكر الاحتفال بقدوم الأمير من أوربا فبينا ان الشرقيين لم يتبعوا الغربيين في ذلك وانما يحتفلون بالملوك والامراء لذواتهم لا لمعنى وطني عام . قلنا «والصواب ان الشرقيين اشد الناس تعظيما لملوكهم منذ القدم وحسبك انهم عبدوهم من دون الله ، وأنهم لا يزالون يقدسونهم بقدر مالهم من السلطة والاستبداد . وأما مسألة إحياء الشعور فنرى بعض الجرائد تنوه بضدها ذاهبة الى ان هذه الاحتفالات منبعثة عن الشعور بعظمة من احتفل لأجله وحبه . وربما يصح هذا من بعض المحتفلين الذين لهم فيه منافع تولد هذا الشعور وإنما الظلم في إسناده الى الأمة مع ان القائمين به أفراد معدودون معروفون » اه المراد منه هنا

وأقول الآن إن الاحتفال لذكرى جلوس السلطان عبد الحميد قد كانت من أسباب انتشار الشعور بعظمته في نفوس من لم يذوقوا ظلمه ونفوس من ذاقوه من حيث لا يعلمون انه منه وكذا من عرفوا ولكن شعور هؤلاء بعظمته في امتهم كان يزيدهم شعورا بمقته و بغضه ، ولم يحل دون ذلك الشعور كله كون النفقة على الاحتفال الرسمي منه كانت من مال الحكومة وعلى غير الرسمي من اموال المرائين في الغالب

ان تقوية الشعور بعظمة الامراء والسلاطين في نفوس الامة يضعف فيها الشعور باستحقاقها للسلطة واهليتها للحكم الدستوري فتبقى ذليلة مهينة . ويقابل هذا كون الاحتفال بعيد الدستور يقوي في الامة الشعور بكرامتها واستحقاقها للحكم الذاتي . واذا كان سلطانها راضيا لها بذلك مشتركا معها فيه — كما هو شأن سلطاننا محمد الخامس ايده الله تعالى — كان ذلك مما يحببه اليها ويرفع مكانته في نفوسها مع العلم بأن عزته بعزتها وعظمته بعظمتها دون العكس

لهذا المعنى وضع عيد الدستور للأمة العثمانية ، وتعلقت به الإرادة السلطانية ،

ولهذا المعنى يحتفل العثمانيون بهذا العيد الوطني حيثما كانوا ، وانيما حلوا ، وستكون عنايتهم بذلك على قدر فهمهم لقيمة الدستور وشعورهم بفائدته

ألفنا نحن العثمانيين المقيمين بمصر لجنة لجمع المال ، والقيام بما يحسن من الاحتفال ، وشاركنا في ذلك اخواننا المصريون ، وما هم الا مثلنا عثمانيون ، «واذا قوبل الخاص بالعام ، يراد بالعام ما وراء الخاص ، » وسيكون احتفالنا في حديقة الازبكية ، بكيفية لم يعهد لها نظير في الاعياد القومية ولا الرسمية ، تتجلى فيها الحديقة متلألئة بالانوار الكهربائية ، وأبدعها ما يمثل منها الشارات العثمانيــة ، وتأتلف فيها اصوات اشهر المطربين ، بنغمات احسن آلات الموسيقيين ، وتعرض فيها الصور المتحركة البديعة ، لا سيما صور حوادث الأستانة الاخيرة ، وغير ذلك من أسباب الانس التي تتوخى في هذه المواسم

وقد ألف أهل الاسكندرية لجنة لإقامة احتفال عمومي أيضا وسيكون هنا وهناك زينات خاصة يقيمها الافراد على بيوتهم أو امكنة أعمالهم فتتجلى بهذه الاحتفالات عثمانية المصريين واخلاصهم للدولة العلية كما يتجلى فيها حبهم للدستور ومعرفتهم لقيمته

يذهب بعض رجال الدين الى ان هذه الاعياد الوطنية والسياسية محظورة في الاسلام لأنه لم يأت الا بعيدين فقط هما عيد الفطر وعيــد النحر فالزيادة عليهما بدعة . وقد سمعنا هذا القول من أحد العلماء فقلنا له ان البدعة الدينية انمــا هي فيما يعمل على انه من الدين فقولك هــذا إنما يصدق على الموالد التي صبغت بصبغة الدين دون هــذه المواسم المشتركة بين أهل الأديان المختلفة التي لاصبغة للدين فيها . نعم يتجه ان يقال ان الدين يحظر من المواسم الدنيوية ما وضع منها لمقصــد ضار كتعظيم الملوك الظالمين وتقوية سلطتهم دون ما وضع لمقصد نافع كتعزيز الأمة ورفعة شأنها

المشتركون المماطلون

بعض المماطلين في القطر المصري معذور بما أصابه من العسرة المالية و بعضهم يعتذر بها بغير حق ولكن ما بال أهل سنغافوره وجاوه وروســيا الذين كنا نعدهم أحسن المسلمين وفاء كادوا يكونون كأهل تونس مطلا وهضما
